منهجية مكتب تنسيق التعريب في وضع مشروعاته المعجمية

الموضوع الذى تلى فى مؤتمر التعريب الثانى باسم المكتب

فتح العالم العربى جفنيه للنور الجديد بعد الحرب العالمية الاولى فاذا الدنيا غير الدنيا التى عاشها طوال القرون الوسطى ، واذا الغرب يحلق على جناحين من علم مخبرى وتجاريب مادية منحته قوى هائلة فى كل ميدان من ميادين الحياة ، واتاحت له فرص الانقضاض على الشعوب الضعيفة ، وكان العرب واحدا منها اعيد الى قفص الاستعمار من جديد وسيطرت عليه اكبر القوى العسكرية المعروفة وارغمته على قبول حضارتها ولغتها وثقافتها ارغاما .

لكن العرب لم يتخاذلوا امام قوى الشر ووجد قادتهم وعقلاؤهم ان طريق الخلاص لا يكون الا بسلوك السبل نفسها التى سلكها الغرب الى القوة فانكبوا على العلم الحديث انكبابا ، وزادهم ايمانهم بالله وبحقهم فى الحياة قوة على قوة وما انحسرت الحرب العالمية الثانية حتى كان خريجو الجامعات العربية آلافا مؤلفة يعملون بجد واخلاص فى نقل العلوم العصرية الى لغة القرآن نقلا متتابعا يسجلونه فى الكتب المدرسية والمؤلفات العلمية والصحف والمجلات والمحاضرات متأثرين بما تعلموه فى جامعات الغرب وما تابعوه بعد ذلك من تطور حتى اصبح الاتجاه العلمى من ابرز خصائص هذا العصر فى جميع البلاد العربية .

فوضى التعريب :

لكن هذه الخطوات المباركة نحو التخلص من الاستعمار الفكرى بعد الخلاص من الاستعمار السياسى والعسكرى تعثرت بفوضى التعريب للاسباب التالية :

ا ــ تفاوت المقدرة اللغوية لدى المعربين تفاوتا بعيدا جدا بحيث ترى الاستاذ القادم من الغرب ممتلئا علما ومعرفة وهو يجهل اللغة العربية احيانا لانه صرف كل وقته للعلم لا للغة ، وترى الى جانبه الاستاذ القدير باللغة العربية وهو يجهل العلم الحديث بينما المصطلحات تتوالى على ساحة الفكر العلمى بواقع نحو خمسين مصطلحا جديدا فى كل يوم ، وكلا هذين الطرفين كان يعمل وحده ، ونادرا جدا منهم من جمع بين المعرفتين العلمية واللغوية .

ب ــ اختلاف المؤثر اللغوى الاجنبى فى البلاد العربية انتج اختلافا فى المفاهيم والنقل والترجمة والتعبير وقد

كان الاختلاف محصورا فيما يترجم عن اللغتين الفرنسية والانجليزية لوقوع اكثر البلاد العربية تحت استعمار هاتين الدولتين اذ سيطرت اللغة الانكليزية على المشرق ما عدا سوريا ولبنان وسيطرت اللغة الفرنسية على الشمال الافريقى ما عدا ليبيا ، وزاد هذا التفاوت تباعدا بعد الحرب العالمية الثانية بمن تأثر باللغة الروسية وسواها .

ج — اختلاف المناهج فى التعريب ما بين الجامعات العربية والمجامع اللغوية والاتحادات العلمية والمنظمات ، فبعضها يترجم معنى المصطلح ترجمة يرجع فى اختيارها الى المعاجم اللغوية العربية او الى الوضع والتوليد وبعضها يعرب المصطلح الأجنبى تعريبا اى يبقيه على ما نطق به فى اصل لغته مع بعض التحوير ليصاغ على وزن صرفى مقبول فى حدود الامكان .

د — تدفق المقالات الصحفية العلمية والشبيهة بالعلمية وفيها كثير من المصطلحات المستحدثة ارتجلها الصحفيون بعامل السرعة ارتجالا فوفق بعضهم واخفق بعضهم الآخر وقد يظهر للمصطلح الواحد اكثر من ترجمة فى بلدين مختلفين بل فى صحيفتين من البلد نفسه والجماهير تقرأ لهذا وتقرأ لذاك فتتأثر فئة بهذا وفئة بذاك وتزداد الشقة اتساعا مع الايام وتنمو الاجيال متصاعدة فى هذا الجو الفوضوى ولا تعرف كيف تتفق.

هـ — وآخر ما يضاف الى ذلك فوضى التأليف المدرسى ، حين يصوغ كل مدرس او استاذ للمصطلح مرادفا عربيا يتساوق وقدرته اللغوية او معرفته العلمية فتظهر فى البلد الواحد كتب متخالفة المصطلحات فى مؤلفات من موضوع واحد ولم تستطع الحكومات العربية السيطرة على هذه الفوضى الا فى وقت متأخر جدا وضمن حد معين .

منهجية مكتب التعريب :

دعت هذه الحال مفكرى العرب الى مدارسة الموضوع لايجاد حل سريع له وانعقد فى الرباط مؤتمر للتعريب الاول (ابريل 1961) انتهى بعد المناقشات والبحث الى تأسيس (المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى) فما هو مفهوم التنسيق وما المنهج الذى اتبعه المكتب فى هذا التنسيق ؟.

جاء فى المادة التاسعة من القانون الاساسى للمكتب ما يلى :

(— تلقى ما تنتهى اليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والادباء والعلماء والمترجمين ، ومتابعة ذلك كله وتنسيقه وتصنيفه ومقارنته ، لاستخراج ما يتصل منه بأغراض التعريب ، وعرضه على مؤتمرات التعريب) .

وجاء فى النظام الداخلى الذى صدر عن المجلس التنفيذى فى جلسته الثامنة (يناير 1972) المادة الرابعة ما يلى :

(يقوم المكتب بتنسيق الجهود التى تبذل للتوسع فى استعمال اللغة العربية فى التدريس بجميع مراحل التعليم وانواعه ومواده ، وفى الاجهزة الثقافية ووسائل الاعلام المختلفة ، وتنسيق الجهود التى تبذل لاغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة ولتوحيد المصطلح العلمى والحضارى فى الوطن العربى بكل الوسائل الممكنة ، والاعداد للمؤتمرات الدورية للتعريب) .

فتطبيقا لهاتين المادتين يسلك المكتب المنهج التالى :

ا — يجمع المتداول للمصطلح الواحد فى البلاد العربية عن طريق شتى ، منها :

1 — جرد ما يرد عليه من المجامع اللغوية والهيئات المختصة كلجان التعريب والمنظمات العربية كمنظمة المقاييس والموازين والاتحادات العلمية كالاتحاد البريدى ، وتسجيل ذلك فى جزازات مرتبة ترتيبا هجائيا.

2 — جرد الكتب العلمية مدرسية وغير مدرسية مما يؤلفه الاختصاصيون ، ويعتمد فى غالب ذلك على الكشوف المعجمية الواردة فى آخر كل كتاب .

3 — جرد الكتب العلمية القديمة ككتاب القانون لابن سينا .

4 — جرد المعاجم اللغوية القديمة كلسان العرب لابن منظور والقاموس للفيروز آبذى ، وقد تجمع لدينا مئات الالوف من جزازات مرتبة على الحروف الهجائية وكلها ثلاثية اللغات (عربى — فرنسى — انكليزى) .

ب ــ استقراء المفاهيم العلمية ومتابعة المستحدث المستجد منها بواسطة خبرائنا فى المكتب وفى خارجه من عرب ومستشرقين ومن علماء متخصصين ، وبمتابعة المعاجم الاجنبية المعتمدة والموسوعات المختصرة والمفصلة والنشرات العلمية عن هيات معترف بقيمتها ووزنها .

كيف نضع مشروعات المعاجم :

ونحب ان نسجل هنا قبل البدء بالحديث ان معاجمنا ليست سوى مشروعات معاجم لن تصبح نهائية الا اذا اعتمدتها مؤتمرات التعريب ، التى سنتحدث عنها بعد ذلك ، وتتجمع هذه المشروعات من طرق شتى اهمها ما يلى :

1 ــ قد نتلقى مشروعات معاجم وضعتها هيئات علمية او دول عربية تصل الينا بطريق الجامعة العربية اذ كنا مرتبطين بها ، او بطريق المنظمة اذ الحقنا بها بعد ذلك ويطلب منا درسها وبيان الرأى فيها كمشروعات المعاجم الستة التى يبحثها مؤتمر التعريب الثانى .

2 ــ نتلقى مشروعات معاجم وضعتها هيئات او منظمات او اتحادات عن غير طريق الجامعة او المنظمة.

3 ــ نتلقى مشروعات معاجم وضعها افراد علميون: اساتذة فى الجامعات او متخصصون فى هيئات او اتحادات او شركات كبرى .

4 ــ نتلقى طلبا من دولة عربية او منظمة او هيئة علمية او اتحاد بضرورة وضع معجم فى مادة ما لوحظت الحاجة الماسة اليه .

ولكل طريق من هذه الطرق اسلوب خاص فى خدمة المعجم المطلوب ولكن يمكن تلخيصها فيما يلى :

1 ــ غالبا ما نتلقى مشروع المعجم بلغة اجنبية واحدة مع العربية كالانكليزية او الفرنسية فنضيف اليه اللغة الثانية الناقصة ليصبح ثلاثى اللغات والهدف من هذا تقريب صورة المفهوم العلمى لدى من يجهل احدى اللغتين الاجنبيتين وذلك بالمقارنة بينهما ثم بترجمة المصطلح او تعريبه او توليد مقابل له اقتباسا مما هو شائع فى البلاد العربية . وقد يكون اجتماع المصطلحين الاجنبيين عاملا للزيادة فى الدقة عند اقتراح المصطلح العربى الموضوع او المعرب .

2 ــ نعرض المعجم بعد ذلك على شبيهه باللغات الاجنبية ونملأ ما فيه من فراغات وفجوات مما تجمع لدينا من جزازات او مستعينين بخبراء جامعيين عرب او مستشرقين ونلحقه بها ، وقد يبلغ الملحق احيانا ضعف الاصل او اكثر ونظل ملاحقين لعملية الاستقراء حتى بعد انعقاد المؤتمرات .

3 ــ وقد نكلف خبراءنا بتجميع مشروع معجم رات الدول العربية او الهيئات العلمية او الاتحادات ضرورة وضعه بسرعة .

4 ــ واذا اتخذنا المعاجم الستة المعروضة على مؤتمر التعريب الثانى كمثال فاننا نكون قد عزونا المصطلح العربى الى مصدره كالمجمع اللغوى او الجامعة او استاذ متخصص مشهور او كتاب مدرسى مقرر لنسهل على المؤتمر تقييم المصطلح مع الاحتفاظ فى الطليعة بالمصطلح المتفق عليه فيما بين الدول العربية ، ونشير عند الحاجة الى مصدر المصطلح بوضع رمز اصطلاحى بين قوسين، وعدم وجود هذه الاشاره يدل على شيوع المصطلح فى الوطن العربى .

وقد يظهر ان كثرة المواد فى المشروعات المعجمية المدرسية تفوق المستوى بالنسبة للمبرامج العربية وسبب ذلك هو اننا لم نكتف بجرد الكتب العربية بل عدنا الى الكتب المقررة فى اوربا لجردها حرصا منا على رفع مستوانا التعليمى .

وبهذا يلاحظ ان المكتب لا يضع المقابلات العربية للمصطلح العلمى الاجنبى من تلقاء نفسه فلا يترجم ولا يعرب ولا يولد نحتا او اشتقاقا بل يقوم بعملية ترصيص المصطلحات المتداولة فى العالم العربى بعضها الى جانب بعض مع مراقبة المفهوم العلمى او الحضارى وتساوقه فيما بين اللغات الثلاث ، ويترك للمؤتمر حق الانتقاء او الحذف او الوضع وبذلك يسهل مكتب التعريب على المؤتمر عمله ويضع امامه المائدة جاهزة من غير متاعب .

وحين يتم مشروع اى معجم من المعاجم التى يعدها المكتب يبعث به الى المجامع والهيئات العلمية

والجامعات والاساتذة المتخصصين لاخذ رايهم فيه ويتقبل النقد والتصويب والترجيح ويعده من جديد اعدادا خاصا لمؤتمر التعريب المقبل .

ما هى مؤتمرات التعريب :

اتفقت الدول العربية على عقد المؤتمر الاول فى الرباط عام 1961 وحضره مندوبون عنها وعن جامعة الدول العربية لمدارسة مشاكل التعريب ، وانتهى الى قرارات بتأسيس المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى وباقامة مؤتمرات دورية واناط بمكتب التعريب مهمة اعداد مشروعات المعاجم وتنسيقها لعرضها على هذه المؤتمرات . لكن هذا القرار لم ينفذ تنفيذا كاملا لاسباب كثيرة اهمها تأخر الحاق المكتب بالجامعة العربية حتى عام 1968 ثم بانتقاله ليلحق بالمنظمة عام 1970 ولم يوضع له نظامه الداخلى الا اوائل عام 1973 ، وكان مكتب التعريب قد استغرق هذه المدة لوضع نحو اربعين مشروع معجم ضمن تصميم واضح .

وقد اتخذت المنظمة المبادرة ودعت الدول العربية الى عقد هذا المؤتمر الثانى الذى تفضلت الجمهورية الجزائرية باستضافته ، وقام وفد عن المكتب بجولة فى الدول العربية لشرح فكرة المؤتمر والاعداد له ودعوة الحكومات والهيئات الى ايفاد علماء متخصصين بالعلوم الستة التى ستعرض فى المؤتمر لتكون مدارسة المعاجم اكثر جدوى واوجز للوقت واتم للبحث لان انتداب غير المتخصصين مضيعة للوقت وتوهين للبحث العلمى المعجمى واستجابت الدول العربية لهذه الرغبة الوجيهة ، فبعثنا اليها بمشروعات المعاجم مع ملاحقها ثم بطبعة جديدة موحدة تركنا فيها الى جانب المصطلح المعروض جداول فارغة لتملأ بمقترحات العلماء والمختصين تصويبا او نقدا او توجيها وحين يتجمع لدى المكتب ما تبعثه هذه الدول يعده اعدادا جديدا لعرضه على المؤتمر فيه المتفق عليه والمختلف فيه . اما ما اتفق عليه فلا يعرض للمناقشة واما ما اختلف فيه فهو موضوع النقاش والدرس .

وقد وضعنا جداول لهذا الاخير هى التى توزع على اللجان المختصة لمدارستها والامل كبير فى ان تعقب هذا المؤتمر مؤتمرات اخرى دورية تخدم توحيد المصطلح العلمى وتخلص البلاد العربية من اللهجات العلمية ، المتولدة مع العصر توحيدا للفكر العربى فى مسيرته العلمية . وقد وضع المكتب تخطيطا عشريا لمشروعات معاجم جديدة اعدادا لمؤتمرات عروبية قادمة سنعرضه على الدول العربية بعد موافقة اللجنة الاستشارية والمجلس التنفيذى عليه قريبا ان شاء الله .

تلك هى منهجية المكتب فى وضع مشروعاته، وهو يرجو ان يكون قد وفق فى خطته ، وهو على استعداد لتقبل النقد والمطارحة فيه ما دام رائدنا جميعا الخير العام ولنا الامل فى ان يتخذ المؤتمر بعد ذلك قرارا او توصية باستخدام هذه المصطلحات التى نسقها المكتب ووافق عليها المؤتمرون فى جميع المنجزات العلمية بهدف توحيد العمل العلمى فى كل البلاد العربية .

وثيقة المؤتمر الثاني للتعريب

المبادىء والاتجاهات والتوصيات

أولا : المبادىء

إن المؤتمر الثاني للتعريب الذي عقد في الجزائر من الثاني عشر حتى العشرين من شهر ديسمبر (كانون الأول) 1973 ، قد صدر في عمله الذي نهض به خلال أيام انعقاده عن المبادىء التالية التي تؤلف حصيلة التجربة اللغوية العربية المعاصرة والتي تؤكدها التجارب اللغوية المختلفة في العالم :

1) اللغة مقوم رئيسي من مقومات وجود الأمة واستمرارها . وكل خطر يهدد اللغة هو خطر يتهدد شخصية الأمة واستمراريتها وارتباط ما بين أجيالها .

2) ان تأصيل العلوم وانتشار المعارف في أمة من الأمم لا يكون إلا بلغتها . ولذلك فإن لحاق البلاد العربية بالحضارة العلمية المعاصرة ومواكبتها لها ، ثم مشاركتها فيها ، يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة للتدريس ، وإعداد المصطلحات العلمية الموحدة لذلك .

3) إن تأصيل اللغة لا يقتصر على الأخذ بها في مرحلة دون مرحلة ، وإنما يجب أن يمازج مراحل التعليم كلها منذ بدايتها ، حتى يتيسر لأبناء هذه اللغة أن يعايشوها معايشة كاملة تساعد بعد ذلك على التصرف بها وتطويرها .

4) إن ما لحق اللغة العربية من قصور في العصور المتأخرة لا يعود إلى العربية نفسها وإنما يرتد إلى ما فرضه الغزو اللغوي — على درجات متفاوتة — من مباعدة بينها وبين أصحابها ، ومن تشكيك فيها ، وعزل لها عن الحياة والمجتمع . والتجارب اللغوية المعاصرة في العالم تثبت ، على نحو لا يقبل الشك ، ان دؤوب أصحاب اللغة على الأخذ بها وإشاعة استعمالها في كل الميادين النظرية والعملية . والدراسات العلمية والإنسانية — كفيل بتمكينها من الوفاء بحاجات العصر المتطورة .

5) ان اللغة العربية قادرة — بحكم طبيعتها وخصائصها وتراثها الذي أسهمت به في الحضارة الإنسانية — على أن تكون لغة العلم الحديث : تدريسا وتأليفا وبحثا .

6) إن الدعوة إلى تدريس العلوم باللغة العربية والعناية بهذه اللغة لا تعني إهمال الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية ولا تقصد إليه .

من هذه المباديء التي انطلق منها المؤتمر انتهى إلى تقرير الاتجاهات التالية :

ثانيا : الاتجاهات

إن المؤتمر ينعقد في ظل غاية رئيسية هي : توحيد المصطلح العلمي .

1) والأعضاء الذين يشاركون فيه من البلاد العربية يصدرون عن ايمانهم بملاحقة التطور العلمي ومصاحبته. ولكنهم يلاحظون أن نقل المصطلح العلمي أو وضعه أوالأخذ به تفاوت بين قطر وآخر تفاوتا أضحى يحتم عليهم توحيد هذا المصطلح تمهيدا للغة علمية مشتركة .

وهم يدركون أن أسباب هذا التفاوت تعود إلى فقدان العمل المنظم في هذه السبيل فقد أسهمت فيه مجامع وجامعات ، وهيئات وأفراد ، وكان أكثر النقل فيه عن اللغتين الفرنسية والانجليزية . واتخذت في اصطناعه أساليب مختلفة من الوضع والترجمة والنحت والتعريب . ولذلك فإن توحيد هذا المصطلح يرتبط بسلسلتين من العوامل : عوامل تتصل باللغة العربية والتعليم العربي والطباعة العربية ، وعوامل أخرى تتصل بالظروف الاجتماعية والسياسية . ولا بد لذلك من أن يتخذ العمل في المصطلحات وجهة تتخلص في دراسة هاتين السلسلتين دراسة عملية ، واصطفاء ما يؤدي إلى الالتقاء والتوحيد ، والابتعاد عما يقود إلى التفرق والتشتيت .

2) إن اختيار المصطلحات العلمية في هذا المؤتمر لمقابلة المصطلحات العلمية الأجنبية لا يؤلف غاية في ذاته بقدر ما يكون سبيلا إلى غايات أخرى هي تطبيق هذه المصطلحات واستعمالها في كل مجالات الأداء والابلاغ : في المدارس والأندية ، وفي وسائل الإعلام وفي الدوائر والمكاتب ، وذلك في عمل مشترك عام يعايش المجتمع في كل طبقاته وفئاته وفي كل مراحله التعليمية ، حتى يتم التفاعل بين اللغة والمجتمع على نحو يقود التطور الفكري والتطور اللغوي في خطين متكاملين ، يقطع الطريق على التفاوت أو التناقض الذي نشهده أحيانا بين الحياة واللغة وتطبيقا تهماالمختلفة .

3) ان اختيار المصطلح العلمي في نطاق التعليم العام في المؤتمر الثاني للتعريب لا يعني أن المؤتمر يريد أن يقف باللغة العلمية عند حدود التعليم الثانوي . ولكنه يعتبر أن عمله هذا تمهيد للخطوة التي يجب أن تلي بعد ذلك ، أي نحو المصطلح العلمي في التعليم الجامعي . ذلك لأن تدريس العلوم بالعربية في المرحلة الثانوية وحدها نوع من العمل الناقص لا يضمن تحقيق الغاية المرجوة... ولهذا فإن المؤتمر يأخذ بالاتجاه إلى تدريس العلوم باللغة العربية في التعليم العالي كله في الجامعات والمعاهد ، ويؤكد أن هذه البيئات العالية تشكل ميدانا بالغ الأهمية يجب أن تتجلى فيه إرادة الأمة العربية في صيانة لغتها وإعطائها الفرص الحقيقية والمنتجة للتعبير عن المفاهيم الفكرية للعصر ومنجزاته التطبيقية والتقنية ، ويرى المؤتمر في التجربة التي قدمتها بعض الاقطار العربية والتي أعطت أطيب ثمارها تأكيدا لسلامة هذا الاتجاه ولضرورة الأخذ به .

4) إن النتائج التي انتهى إليها المؤتمر في هذه المصطلحات التي تداولها . مقدمة لاستخدامها في التعليم والتأليف ووضعها موضع التجربة والممارسة . غير أن اختيار المصطلح لا يعني تجميده . فالمصطلحات العلمية بطبيعتها عمل مستمر متصل .

التوصيات

وتطبيقا لهذه الاتجاهات انتهى المؤتمر إلى جملة التوصيات التالية :

في المنهج

يوصي المؤتمر باتباع منهجية للعمل في مشروعات المصطلحات في المستقبل على أن تتناول هذه المنهجية مراحل العمل كلها في **الاعداد والدراسة والاقرار**

1) **في الاعداد** : لا بد من عمل أولي منظم يتناول استقصاء المصطلحات القديمة وجمع المصطلحات الجديثة.

أ) في استقصاء المصطلحات والتعابير القديمة :

مظان هذه المصطلحات : الكتب المتخصصة والمعاجم ، ولكن لا بد من تجاوزها بعد ذلك إلى الكتب الأخرى التي قد تستعمل هذه المصطلحات ، من مثل : كتب الأدب العامة والمحاضرات والمجاميع ، وكتب الفقه والفتاوى والنوازل . ولا بد كذلك من ترتيب هذه المظان ترتيبا تاريخيا ، ومسحها ، وجرد ما فيها ، وتقديمه على أنه جزء من الإرث العربي في الأقطار العربية كلها ، الحاضرة والبادية .

ومثل هذا العمل يعين على احياء المصطلحات العلمية المبثوثة في كتب التراث العلمي العربي وتدقيق مدلولاتها وربطها بالتعبير العلمي العربي والعالمي المعاصر . وكذلك يمكن أن يكون تمهيدا للمعجم التاريخي اللغوي الذي نتطلع إليه ونأمل تحقيقه .

ب) في جمع المصطلحات الحديثة :

وهي المصطلحات التي أقرتها المجامع أو استعملتها الجامعات ، أو تواضعت عليها الهيئات أو أخذت بها المعاجم الجديدة أو نشرها بعض العلماء .

ج) استخدام وسائل التقنية وعلوم اللسانيات الحديثة للمساعدة على إنجاز هذا العمل ، والاسراع في تحقيقه .

2) وفي الدراسة :

أ) لا بد من اللجوء إلى نظام المراحل المتدرجة فتتقدم مرحلة الجمع والاستقراء والاستقصاء على أية مرحلة . ثم تأتي مرحلة اللجان المتخصصة والندوات للتمحيص والتصفية قبل مرحلة المؤتمر العام ولجانه للمصادقة . وتأتي مرحلة العمل في المستوى المحلي القطري قبل مرحلة العمل في المستوى العربي القومي .

ب) وفي الدراسة كذلك وفي الاتجاه نحو الاقرار لا بد من التواضع على طائفة من مباديء التعريب وطرقه والأخذ بالأساليب المعتمدة فيه ، ضمانا لمحصول مشترك يحفظ الجهد من التبدد ويقطع الطريق على الاختلاف .

وفي ذلك يوصي المؤتمر اتحاد المجامع أن يقوم بجمع قرارات لجنة الأصول في مجمع اللغة العربية بدمشق وما أقره المجمع العلمي العراقي ببغداد وغير ذلك من جهود الهيئات والعلماء ، ويتولى دراسة ذلك كله والتنسيق بينه وتوحيده وإصداره ليكون دليل عمل بين أيدي العاملين في التعريب والمهتمين به من العلماء والباحثين وأعضاء اللجان المحلية والقومية التي تدرس مشروعات المصطلحات .

3) وفي إقرار المصطلحات لا بد من استلهام هذه الأصول والقواعد والتقيد بها لتتوافر للمصطلحات : السلامة في اللغة ، والسهولة في الأداء ، والوضوح في الفكر ، والدقة في التعبير .

في الالتـــزام

يرى المؤتمر أن قضية المصطلح العلمي لم تنل من العناية في التنفيذ قدرما نالت من عناية في الاعداد والدراسة والاقرار ، وإنه إذا كانت قضية المصطلح عملية مستمرة فإن ذلك يقتضي ألا يستمر الجدل النظري حولها إلى ما لا نهاية له ، وانه لا بد من أن يخرج هذا النقاش النظري إلى مرحلة التطبيق والتجربة العملية حتى يكون استخدام المصطلح هو الذي يحقق امتحانه والحكم عليه .

ولذلك فإن أعضاء المؤتمر يذهبون إلى وجوب الأخذ بمبدأ الالتزام بهذه المصطلحات يلتزمونها هم في مدارسهم وجامعاتهم وبحوثهم ومعاجمهم ويدعون إليها حتى حين يكون تدريسهم باللغة الأجنبية ، ثم يهيبون بالسلطات المختصة أن تلتزم بها ، ما كان ذلك ممكنا ، في المدارس والإدارات والمؤسسات ووسائل الإعلام والشركات حتى تكون جزءا حيا في الحياة العلمية والعملية والإدارية ، وحتى يتحقق لها أكبر قدر من الشيوع والاستقرار .

والمؤتمر حين يؤكد هذا المبدأ يؤمن بأنه لا بد من إتاحة الفرصة أمام الأقطار العربية — حسب قدرة كل قطر وظروفه — للأخذ بذلك ، آملا أن يكون الجهد في الأخذ بهذا المبدأ أقوى من الصعوبة وأن يكون

التعارض بين الرغبة والامكان أدنى إلى غلبة الرغبة على عوائق الإمكان .

وهذا الالتزام يقود إلى الأخذ بالتوصية التالية :

طبع هذه المصطلحات في معجم ، ونشر هذا المعجم وتزويد الجهات المختصة في البلاد العربية بنسخ منه لوضعه موضع التجربة في مدارسها ومؤسساتها . ثم تجميع الملاحظات حوله تمهيدا لمعاودة طبعه معدلا منقحا .

في التأليف والبحث والترجمة

1) يوصي المؤتمر وزارات التربية في البلاد العربية أن تستعمل المصطلحات العلمية المقررة وذلك في كتبها الدراسية في مختلف مراحل التعليم العام .

2) يوصي المؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن تقدم الخبراء والمعونات الفنية اللازمة لتأليف كتب مدرسية للمواد العلمية في مراحل التعليم العام تستعمل فيها هذه المصطلحات العلمية المقررة وذلك للدول العربية التي تطلب ذلك .

3) يوصي المؤتمر بأن تخصص المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ووزارات التربية في البلاد العربية جوائز تشجيعية لمؤلف أحسن الكتب في مختلف العلوم وفي مختلف سنوات التعليم العام .

4) يوصي المؤتمر أن تدرس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع اتحاد الجامعات العربية تأليف كتب في المواد العلمية المختلفة تستخدم فيها المصطلحات المقررة وذلك للسنتين الأوليين من الدراسة الجامعية تيسيرا على الدول العربية التي لا تستطيع في هذه المرحلة النهوض بهذا العمل .

5) يوصي المؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالعمل على إصدار نشرات ومجلات باللغة العربية في مختلف العلوم تستعمل فيها المصطلحات المقررة وتحتوي على البحوث الأصلية والتطبيقية والمترجمات ، إضافة إلى بحوث مراجعة المصادر ، والمستخلصات والخلاصات المهمة .

في المجامع والجامعات

1) يوصي المؤتمر بأن تقدم الحكومات العربية للمجامع واتحادها ، وكذلك للجان التعريب كل عون لتتابع عملها المهم حرصا على المشاركة الكاملة بين الأقطار العربية في موضوع المصطلحات : دراسة وإقرارا واستعمالا .

2) يوصي المؤتمر اتحاد الجامعات العربية باستكمال كل وسائل التعاون بين الكليات العلمية بالطرق المناسبة ، مثل تناوب الاجتماعات الدورية وإصدار النشرات والمجلات العلمية باللغة العربية .

3) يوصي المؤتمر اتحاد الجامعات العربية ، والجامعات العربية التي لم تبدأ تدريس العلوم باللغة العربية ، بالمبادرة إلى استعمال العربية في إلقاء الدروس والمحاضرات .

كما يوصي أن يكون التدريس في الكليات النظرية باللغة العربية . ويؤكد أن تكون العربية السليمة – بعيدا عن اللهجات العامية – هي الأصل في ذلك .

4) يوصي المؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واتحاد الجامعات العربية بالعمل على إعداد معلمين لتدريس المواد العلمية باللغة العربية في مراحل التعليم العام وعقد دورات تدريبية لهم ، تحقيقا لأفضل المستويات في تعريب التعليم العلمي .

في الأرقام والرموز والسوابق واللواحق

يوصي المؤتمر بمتابعة دراسة الموضوعات التالية :

1) استعمال الأرقام العربية (1 – 2 – 3 – ...) .

2) استعمال الرموز المتفق عليها عالميا في مراحل التعليم العالي وكتابة المعادلات العلمية والرياضية بهذه الرموز ، مع الابقاء على الرموز المستعملة مبدئيا .

3) كتابة صور بعض الأصوات الأجنبية غير الواردة في اللغة العربية .

4) ظاهرة السوابق واللواحق في المصطلح العلمي في اللغة العربية واللغات الأجنبية .

قـــرار الشكـــر

يقدم المؤتمر للسيد رئيس مجلس الثورة والحكومة الجزائرية ولأعضاء الحكومة ولرجال وزارة التربية والتعليم وللجنة الوطنية لتحضير المؤتمر أصدق الشكر و أعمق التقدير لما كان من اهتمام الجزائر بالمؤتمر ، بداية واعدادا واستضافة ، ويرى في ذلك مظهرا من مظاهر استمرار الحكومة الجزائرية في متابعة ثورتها الثقافيـة الأصليـة .

كما يعبر المؤتمر عن صادق الشكر للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتبها لتنسيق التعريب على الجهد المبذول في الدعوة لهذا المؤتمر وتنظيمه وإعداد وثائقه ومشروعات معاجمه . ويرى في هذا العمل تمهيدا نيّرا للافاق الواسعة التي ترودها حركة تعريب التعليـــم .

توصية خاصة

ان المؤتمر الثانى للتعريب الذى ينعقد فى الجزائر بين 12 ــ 20 من ديسمبر « كانون الاول » سنة 1973 .

اذ ينطلق من الايمان بأن اللغة مقوم رئيسى من مقومات وجود الامة واستمرارها ، وان تأصيل اللغة لا يقتصر على الاخذ بها فى مرحلة دون مرحلة او فى نوع من انواع العلوم دون نوع .

وان اللغة العربية قادرة على ان تكون لغة العلم الحديث كما كانت من قبل ، وحرصا منه على نجاح مهمته التى ترى ان المصطلح العلمى العربى الموحد اول الطريق الى اشاعة المعرفة العلمية فى المجتمع العربى .

وان المعرفة العلمية هى الطريق الى مواكبة العصر.

وان مواكبة العصر هى طريق الحياة الفعالة والمنتجة

فانه يرجو الحكومات العربية جميعا ان تبادر بتطبيق برنامج مرحلى مرسوم لتعميم التدريس باللغة العربية فى مراحل التعليم كلها للمواد العلمية والادبية بدا من العام الدارسى المقبل 74 ــ 1975 .

ويرى فى ذلك خطوة اساسية لا بد منها لتحقيق الوجود العربى المشترك الذى يسعى لكسب المعركة فى ساحاتها كلها فى المرحلة الحاضرة والمراحل المقبلة.

وهو يهيب بالملوك والرؤساء ان يسلكوا الى ذلك اقرب الطرق ، ويضع امكاناته كلها فى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وفى المجامع والجامعات وفى اتحاديهما رهن المعاونة على استكمال اسباب النجاح لتحقيق هذه الامنية القومية .

ان المؤتمر ــ اذ يناشد الملوك والرؤساء العمل على ذلك تحقيقا لتساوق خطى الشعب العربى فى مختلف اقطاره . وتاكيدا لاستثمار التاريخ وتوجيها نحو المستقبل وانسجاما مع اعتبار اللغة العربية فى المؤسسات الدولية احدى اللغات الست الرسمية ــ يثق انه يضع هذه الامانة الغالية فى موضعها الامين .

قرارات وتوصيات
المؤتمر العلمي العربي السابع

اعلن الاستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر رئيس الاتحاد العلمى العربى ورئيس المؤتمر فى الجلسة الختامية المنعقدة بالمركز القومى للبحوث ظهر الاربعاء 26 سبتمبر سنة 1973 القرارات والتوصيات الآتية :

1 ــ يوصى المؤتمر الحكومات العربية باستثمار جانب من ارصدتها المودعة فى المصارف الاجنبية لنشر العلم والتعليم وتمويل البحث العلمى فى ارجاء الوطن العربى ، فهو استثمار اكيد النفع والعائد ، قوة ومنفعة للبلاد العربية جميعا ، وانه لوسيلة اكيدة لاسترداد الحقوق المغتصبة .

2 ــ يوصى المؤتمر الحكومات العربية بتخصيص نسبة لا تقل عن 5 % من دخلها القومى لاغراض البحث العلمى .

3 ــ يوصى المؤتمر الحكومات العربية بتهيئة اسباب استقرار العلماء العرب فى الوطن العربى ، وقفا لتيار هجرتهم الى الخارج .

4 ــ يوصى المؤتمر جامعة الدول العربية والهيئات العلمية بالعمل على دعم الاتحاد العلمى حتى يستطيع ان يؤدى رسالته على اكمل وجه . واصدار دورية علمية عربية .

5 ــ يوصى المؤتمر الهيئات العلمية فى الدول العربية، التى ليس بها شعب قطرية للاتحاد العلمى العربى ، المبادرة بتكوين هذه الشعب .

6 ــ يوصى المؤتمر الاتحاد العلمى العربى بالعمل على تشكيل لجان دائمة لدراسة موارد الثروة الطبيعية فى العالم العربى ووسائل استغلالها واستنباطها ، وكذلك لحماية البيئة من التلوث .

7 ــ يوصى المؤتمر الهيئات العلمية المعنية بالعمل على اصدار المعجم العلمى العربى الموحد تمهيدا لتعميم تعريب العلم واتخاذ العربية لغة للعلم .

8 ــ يقرر المؤتمر العلمى العربى فى بغداد سنة 1975 وذلك بناء على اقتراح الوفد العراقى فى هذا المؤتمر .

إستخدام اللغة العربية في التعليم العالي

الدكتور جميل الملائكة
- بغداد -

انها لحالة غريبة وشاذة حقا ان لا يتسنى لابناء بلاد ذات حضارة وعزة وسيادة التعلم وطلب العلم الا بلسان اجنبى لا يمت الى لغة اهل البلاد وتراثهم بصلة من قريب او بعيد . والحقيقة انه لم يكن بيد الاستعمار اداة اطوع فى تفتيت وحدة الثقافة العربية وتفريق كلمة العرب من العمل على طمس لغتهم القومية باتباع الوسائل المختلفة من ابراز العاميات المحلية ، ومن القول بفضل الحروف اللاتينية على الحروف العربية ، الى المناداة بعدم صلاح العربية للعلم والتعليم وبذل الجهود المتصلة لاتخاذ اللغات الاجنبية عوضا عنها ، بل حتى احلال تلك اللغات محل العربية فى الحديث والتسامر فى بعض الاوساط وليس خافيا ان العربية كانت وما زالت وستبقى من اقوى الروابط التى تجمع بين افراد وشعوب امتنا العظيمة ، وان اضعافها والقضاء عليها معناه القضاء على اقوى مقومات وحدتنا القومية ومستلزماتها ، ومن هنا فان الدول الطامعة بخيرات بلادنا لا تريد للغتنا اى تقدم او ازدهار .

لقد مر على هذه البلاد زمن كانت تعانى فيه من قيود الاستعمار والتبعية ، فكان من مظاهر تلك العهود ان جعلوا اللغة التركية لغة البلاد الرسمية فى ظل الحكم العثمانى فاستعملت فى التعليم والقضاء بل فرضت حتى فى تدريس قواعد اللغة العربية ، وان فرضوا لغة التعليم الفرنسية فى ظل الاستعمار الفرنسى ، وان علموا باللغة الانجليزية تحت نير التسلط الانجليزى ، وهكذا فرضت لغة المستعمر فى البلاد الواقعة تحت سيطرته ، اليوم ، وقد ذهبت عهود السيطرة الاجنبية ، فلم يعد ثمة موجب لان نبقى عبيدا للغات الغرب . فان الالمانى مثلا

الجبر والمخزن ودار الصناعة فقالوا و Algebra و Magazine و Arsenal ولم يجد اسلافنا ضيرا فى تعريب Music و Geography بموسيقى وجغرافية . فان استعصى كل ذلك فيمكن استعمال المصطلح الاجنبى بلفظه ، ويبقى تقديم المتون والشروح بالعربية ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها . هذا علما بأن الكثير من اسماء الجواهر ، كلفظة الاوكسجين، اصبحت عالمية ، ويمكن استعمالها كما هى ، ولا لزوم لوضع مصطلحات تقابلها . ومثل ذلك يقال فى بعض اسماء الوحدات القياسية ، كالطن والمتر ، وبعض الاسماء المتعارف عليها عالميا كالرادار والالكترون . وفى جميع الاحوال يمكن ادراج المصطلح الاجنبى بازاء العربى اذا اقتضت الضرورة ذلك .

المعجم الفنى

ولا بد فى هذا المجال من الاشارة الى ان المتوفر الآن من المصطلحات العربية فى العلوم الحديثة يزيد على المائة الف مصطلح ، موزعة فى القواميس والمعجمات الفنية العامة ، والمعجمات والنشرات والمجلات والكتب الاختصاصية ، مما اسهمت فيه المجامع اللغوية ، والاتحادات والجمعيات العلمية ، واللجان الفنية مدنية وعسكرية ، والجهود الفردية من العلماء والمتخصصين . وتؤلف هذه الحصيلة الضخمة من المصطلحات صقل مفرداته ، وتنقيحها ، وانتقاء خيارها ، والزيادة عليها .

الرموز والارقام والمعادلات

وثمة الرموز والارقام والمعادلات فلا لزوم للاغلاء والتزمت بترجمتها الى العربية هى ايضا ، فكل هذه اصبحت صورها شبه عالمية ومن المستحسن الابقاء عليها كما هى . فان الكثرة الكاثرة من الرموز فى اى علم من العلوم لا تكاد تختلف فى الانجليزية عنها فى الالمانية والفرنسية مثلا . ولعدم كفاية الحروف فى هذه اللغات فقد اصبح للحروف اليونانية ايضا ، بصورتيها الصغيرة والكبيرة ، دلائل معروفة ، فيرمز كل منها الى شىء معين فى فروع العلوم ، كل على حدته . وهى متفق عليها فى الاوساط العلمية العالمية ، فلا يحسن ايضا احلال حروف عربية محلها ، وفى ذلك ضرر ومدعاة للالتباس . ومثل ذلك يقال فى الارقام المدعوة بالارقام العربية Arabic Numerals والمستعملة فى كل اوربا وفى اقطار المغرب العربى ، وهى اصل صور الارقام العربية ، فهذه من السهل جدا اشاعة استعمالها ، وهى لا تتعدى تسع صور للارقام من 1 الى 9 ، وبذلك نوفر على المشتغلين بالعلوم اعادة تحضير الكثير من الجداول مما لا لزوم له ، وتيسر المتابعة العلمية . وبالابقاء على الرموز والارقام نستغنى عن ترجمة المعادلات التى كثيرا ما ادت ترجمتها الى البلبلة الذهنية لدى المشتغلين بالعلوم .

التأليف والترجمة

ويستلزم التعريب اتخاذ الخطوات المناسبة لتأليف المقررات الدراسية وكتب المراجع ، وترجمة الروائع العالمية . وهنا لا بد من التأكيد على وجوب اختيار المؤلفين والمترجمين من بين صفوة العلماء ، لان التأليف الركيك والترجمة الضعيفة غير الواضحة قد يؤديان الى الكثير من الضرر . ويقتضى الامر تقديم التعويضات والمكافآت المجزية للعاملين فى هذين الحقلين وتفريغ الاساتذة المختصين لهما ، واحتساب جهودهم لاغراض الارتقاء فى سلم المراتب الجامعية . ويلزم فى جميع الاحوال ان يوضع فى آخر الكتاب قوائم بالرموز والمصطلحات المستعملة فيه ، سواء اكان مؤلفا ام مترجما ، وكذلك قائمة بالمراجع والمصادر الاجنبية والعربية ، ليتمكن القارىء من الرجوع اليها للمتابعة العلمية فى موضوعه .

ومن الضرورى تنسيق عمل الترجمة فى الاقطار الشقيقة ، فتسمى سنويا فى كل بلد عربى الكتب المراد ترجمتها ، والعلماء المكلفون بذلك ، وتجهز البلاد الاخرى بهذه الاسماء . وينظم العمل تجنبا للتكرار .

تهذيب مناهج العربية

وكذلك يلزم الارتفاع بمستوى تدريس العربية فى المراحل الباكرة من الدراسة بحيث يكمل الطالب الثانوية وهو على الاقل يحسن تحرير عريضة او رسالة ، او تلاوة بضعة اسطر فى صحيفة او كتاب. ويستلزم هذا تهذيب مناهج اللغة بتجاوز الاستظهار الاعمى للقواعد النحوية ، وبعضها مغرق فى المنطق

هذا فضلا عن ان بعضا منهم ابتعدوا زمنا غير يسير عن مواطنهم ، ومنهم من انقطع تماما عن استعمال العربية ، وكم فى هؤلاء من هجر اهله ووطنه الى غير الخارج وهم ناسون للعربية ، فيتهيبون استعمالها . وقد يصيبهم العى والحصر عند النطق بها . وكثيرون منهم الذين لم يتح لهم الوقت الكافى لاتقان اللغة الاجنبية ذاتها ، فضلا عن العربية ، فهم لا يجيدون التدريس بها حق الاجادة . هؤلاء يختلقون صعوبات وهمية فى العربية سببها قصورهم وعدم احاطتهم بها، وهم يظلمون لغتهم القومية عند ما يبثون فى روع الناس انها عاجزة قاصرة ، فيعزون اليها الضعف الذى هو فيهم وليس فيها .

واخطر من ذلك حال بعض الذين يغادرون هذه البلاد لتحصيل العلم فى الخارج وهم فى طراوة الشباب وغضاضة المعرفة والثقافة — فيذهبون الى انجلترا وامريكا ، وفرنسا ، والمانيا ، وروسيا ، فلا يلبث الواحد منهم ان يعجب بلغة البلاد التى درس فيها ، وقد تبهر بعضهم حضارة الشعب الذى اخذوا من ثقافته ، فاذا هم لا يعتصمون الا بحبلها ، واذا هم ينقضون ايمانهم بقوميتهم وتاريخهم ، فضلا عن لغتهم العربية ، وكم فى اولاء من هجر اهله ووطنه الى غير عوده . هذا النوع من الاستعمار الثقافى الوبيل العواقب يستلزم اقصى الحذر من ايفاد الطلبة الى الخارج وهم بعد فى سن باكرة لم تكتمل معها شخصيتهم وعقيدتهم وثقافتهم ، لئلا نفرط ببعض النخبة الصالحة من ابناء البلاد ، ولا نستعيد البعض الآخر قلقى العقيدة خلوا من المشاعر القومية .

قضية المصطلحات

وكثيرا ما يثير المشككون ضجة مفتعلة فينصبون من قضية المصطلحات الفنية سدا منيعا فى وجه التعريب ويرسمون هالات قدسية حوله . فهل توقفت روسيا واليابان والصين وبلغاريا ، وحتى اسرائيل وغيرها يوما عن التعليم والعمل العلمى فى انتظار صياغة مصطلحات ؟ ام هل يريدنا هؤلاء ان ننتظر وننتظر الى الابد ؟ هذه الحجة واهية اساسا ، فالمصطلحات واللغة كلتاهما وسيلة لا غاية ، والمهم هو الاستعمال ، والعلماء والمتخصصون والمؤلفون والمترجمون هم الذين يصوغون المصطلحات بحسب الحاجة العلمية اليها . والعمل العلمى ومصطلحه يسيران جنبا الى جنب ، ولا يسبق احدهما الآخر ، واهل اللغة يستشارون عند الحاجة اليهم . هذا هو الذى يجرى فى جميع البلاد المتقدمة ، والاستعمال والزمن هما الكفيلان ببقاء المصطلح الافضل ، والمشتغلون بالعلم يعرفون ان ثمة الكثير من مصطلحات العلوم التى تختلف فى امريكا عنها فى انجلترا وكلتاهما لغتها الانجليزية . فهل كان هذا فى يوم من الايام سببا لتوقف الحركة العلمية فى اية منهما ؟ وما الفائدة من تكديس مجاميع المصطلحات والمعجمات الفنية الضخمة لتبقى حبيسة الرفوف دون استعمال ؛ ونظل نجادل فى اى الاصلح والافصح — الزيت ام البترول ام النفط ام النفط ؟ لا ادرى هل سيؤدى هذا النقاش الى اية نتيجة ، بينما نستمر فى التعليم بالانجليزية والفرنسة . لقد بات تطور التكنولوجيا والطب والعلوم من السرعة بحيث اصبحت الوسائل الاعتيادية فى صياغة المصطلحات تنوء باعبائه . فما يمر يوم لا تظهر فيه آلات واختراعات واكتشافات جديدة حتى صار بعض الشركات العلمية يستخدم الاجهزة الالكترونية فى صياغة الاسماء لالآف المركبات الكيميائية الجديده ، وذلك بخزن العديد من التصادير والجذور والكواسع اللغوية ذات المعانى المعينة فى هذه الاجهزة ، وتزويدها بالتركيب الكيميائى لكل من هذه المركبات ، مع المعلومات الاخرى المناسبة ، وتقوم هى بوضع التسميات ، والسرعة اصبحت سمة العصر ، ولقد بات لزاما علينا ان نتخذ من لغتنا وعاء للعلوم لنتمكن من اللحاق بركب الحضارات العالمية .

وفى لغتنا مرونة وموسعة ، فنعمد اولا الى ترجمة المصطلح ان صحت الترجمة ، وهو الاهم والايسر ، فان امتنع ذلك فنستعين بالاشتقاق والقياس ، كما فعلنا فى مصطلحات المذياع Radio ، والرسابة Sediment والتأميم Nationalization فان تعذر ذلك فنفيد من المجاز حيث يكفى وجود علاقة مجازية بين المعنى والمصطلح المختار كما فى قولنا رياضيات Mathematics ، وعزم Moment وهيئة Staff ، فاذا لم ييسر فنلجأ الى التعريب ، وهو آخر ما نركن اليه ، كما فعلنا فى ماكنة Machine ، وبطارية Battery ، وقديما فرنجوا

يأبى له اعتزازه بقوميته ولغته ان يتخذ من الانجليزية لغة علم وعمل ، ومن غير الطبيعى ان لا تأخذنا نحن الغيرة على لغتنا العربية التى هى عنوان قوميتنا وتراثنا وتاريخنا .

اصالة العربية

والعربية اليوم لغة مائة مليون عربى ، وهى الاداة الدينية لخمسة اضعاف هذا العدد ، ولقد اقرت اليونيسكو اتخاذها لغة عمل بين اللغات العالمية الخمس الاخرى ، ومن غير المعقول ان نتهمها بالقصور فى الوقت الذى اصر اعداؤنا فى الجزء المغتصب من ارضنا العربية على استعمال اللغة العبرية ، وهى لغة ميتة ، فلم تعجز عن استيعاب العلم والتعليم . ام هل ان اللغات الروسية ، والصينية ، واليابانية ، والهنغارية ، والتركية ، واليونانية ، والبرتغالية ، والفنلندية، والبلجيكية، كلها اغنى من العربية واطوع للصياغة العلمية ؟ لا شك فى ان كل هؤلاء الاقوام وجدوا فى التمسك بلغتهم القومية واتقانها سببا للكرامة ، والثقة بالنفس ، واجتماع الكلمة ، والاعتزاز بالتراث القومى ، فلم يرضوا بالتفريط بها او تفضيل غيرها عليها .

والعربية سبق لها ان وسعت العلوم والشرائع والفنون ، ولم تعجز عن نقل علوم اليونان والهند وفارس ايام ازدهار حضارات الامويين والعباسيين فى الشام ، وبغداد ، والاندلس . ولقد كتب بها اعاظم العلماء من العرب والاعاجم من امثال البيرونى ، وابن سينا ، وابن الهيثم ، والجاحظ ، والخوارزمى ، والكرجى ، والفارابى ، والرازى ، وابن حيان ، والكندى ، وابن رشد ، وابن طفيل ، وابن خلدون ، والزهراوى ، والادريسى ، وكثيرين سواهم ، والفوا الكتب الجليلة فى الطب ، والهندسة ، والرياضيات ، والمساحة والفلك ، والطبيعة ، والكيمياء ، والاحياء ، والفلسفة ، والاداب ، والتاريخ ، والقانون ، والشريعة ، مما بقى حتى امد قريب يعد بين امهات المراجع العلمية والفلسفية والتشريعية فى الشرق والغرب . ولقد نقل الكثير من هذه المؤلفات الى اللغات الاوربية فكان يؤلف حلقات متينة فى سلسلة تطور العلوم الحديثة .

ومن السمات المشهودة للعربية ايجاز عبارتها مع حسن الاداء ، وتميز كتابتها بأنها اختزالية بطبيعتها ، وكونها غنية اصلا فى موادها ومفرداتها حتى ان المعجمات لتزخر بقدر هائل من الالفاظ التى يمكن العود اليها لاختيارها لمختلف المصطلحات الحديثة . وهذه تركيا لم تجد غنى عن استعمال الاصول العربية فى وضع مصطلحاتها الحديثة بالحرف اللاتينى .

والعربية فضلا عن ذلك لغة مرنة خصبة كبيرة العطاء ومن ميزاتها الفذه اتساعها فى الاشتقاق حتى ان المادة الواحدة الثلاثية الحروف كثيرا ما تتجاوز الاوزان الاشتقاقية منها العشرات الى المئات ، والكثير منها قياسى ، هذا اضافة الى امكانية التوسع فيها بدرجة كبيرة . هذه الميزة العظيمة للعربية بين سائر اللغات الحية او القديمة هى سر كونها -ادنى لمسايرة سنة التطور واطوع من كثير من سواها من اللغات فى وضع المصطلحات العلمية .

الاستعمار الثقافى

لقد بدا التدريس فى هذه البلاد بلغات اجنبية فى ظروف معروفة كما اسلفنا ، غير ن مما يؤسف له انه استمر كذلك حتى بات بعضنا يفتقر الى الحماسة للتعريب وما عدنا نجد الجراة لاصلاح هذه الحال .

لقد كان من اسباب تدريس العلوم باللغة الانجليزية او الفرنسية فى هذه البلاد ان التدريس على مختلف المستويات بدأ فى زمن كان الكثير من الاساتذة فيه هم من الاجانب ، وكان هؤلاء هم اول من بدأ حملات التشكيك فى صلاح العربية للتدريس ، فاتهموها بالصعوبة والتعقيد ، على الرغم من ان النحو الانجليزى والفرنسى مثلا ، او قواعد الاملاء فيهما ليست بأيسر منها فى العربية . وغير خاف ان جل هؤلاء لا يعرفون العربية ولا يتقنونها وليس فى وسعهم التدريس بها حق الاجادة . هؤلاء يختلقون صعوبات مناصبهم التدريسية ومراكزهم الحساسة فى هذه البلاد

واسوأ من هذا ان كثيرين من علمائنا تعلموا بلغات اجنبية فى الخارج او فى الداخل ، فكان من نتيجة ذلك ان المتابعة والتخصص اضطرت بعضهم الى التعمق فى دقائق اللغات التى درسوا فيها ، بينما لم يتهيأ لهم اطلاقا ممارسة العربية فى العمل العلمى المتخصص .

والفلسفة ، الى الاكثار من التطبيق بالاعراب ، والتمرين على القراءة والكتابة ، وحفظ النصوص الرفيعة وعيون الشعر . ويجمل الاكثار من النصوص العلمية فى كتب المطالعة لتقوية الطالب فى لغة العلوم وتعريفه على المصطلحات ليدخرها للمستقبل .

الفصحى والعامية

والعامية فى اكثر البلاد العربية اقتربت من الفصحى نتيجة للنهضة الثقافية المعاصرة ، فيلزم العمل على بلورة ذلك باشاعة الفصحى وفرض استعمالها فى المدارس تمهيدا لمحو الشقة بين لغة الحديث ولغة الكتابة وجعل الفصحى لغة التعامل بين مجموع الطبقات . ولوسائل الاعلام اكبر الاهمية فى نشر اللغة السليمة على الجمهور فيجب الحرص على اختيار المذيعين من بين المتمكنين من الالقاء الصحيح ليكونوا قدوة حسنة لعامة الناس .

الاعتبار بتجارب التعريب

ويقتضى برنامج التعريب الافادة والاعتبار من المحاولات والتجارب السابقة لتجنب الاخطاء ، فلا يدرس الطالب بعض الموضوعات بالعربية والبعض الآخر باللغة الاجنبية فى الوقت ذاته فتتضاعف عليه الصعوبات ، ولا يكون منهجه مجزأ فتكون دراسته فى بعض السنوات بالعربية وبعضها بالاجنبية فتتعقد عليه الامور ويفقد التسلسل الذهنى فى المتابعةوالتعبير العلمى ، ولا ينقطع منهجه الى العربية ويغفل اللغة الاجنبية اطلاقا فينعزل عن العالم وتكون ثقافته ضيقة محدودة .

لغة اجنبية للمتابعة

وهنا لا بد من التأكيد على ضروره الاهتمام الشديد باتقان لغة اجنبية عالمية واحدة على الاقل ، اضافة الى العربية ، لاتخاذها اداة لازمة للتوسع فى المتابعة العلمية ، واستمرار الاتصال بالتطور العلمى العالمى، والتمكين من اكمال الدراسة والتخصص ، ونشر الابحاث العلمية فى المجلات العالمية . وبعد هذا الامر من المتطلبات الطبيعية المفروضة حتى فى ارقى البلاد ، فيلزم الحذر كل الحذر من مغبة التساهل والاهمال فيه ، لئلا نبقى فى معزل عن الحضارة العالمية ، ونضيع الغرض الذى نهدف اليه من التعريب . ولن تكفى لهذا الغرض دراسة اللغة الاجنبية فى الابتدائية والثانوية ، ولو انه من الضرورى الارتفاع بمستواها المنهجى ، وانما يجب الحرص على تطبيق برنامج دقيق لتدريس اللغة الاجنبية الفنية فى الكليات مع التدريب المستمر على استعمالها فى المحادثة والكتابة والمطالعات فى الكتب العلمية .

نشر العلم وتاصيله

هكذا يمكن بتعريب التعليم ان نرتفع بمستوى العلم والمعرفة فى اتجاه ، ونبسط رقعتهما فى الاتجاه الآخر . فمن المعروف ، وخاصة عند العاملين فى التعليم الجامعى ، انه ايسر للطالب المتوسط قراءة ثلاث صفحات الى خمس فى كتاب علمى مكتوب بالعربية ، لغة اهله وقومه ، من قراءة صفحة واحدة بلغة اجنبية غريبة عنه ، وهو بالتالى يتمكن من استيعاب مادة علمية اوفر ، ويتيسر له الوقت لاستقصاء المراجع العلمية فيما عدا المقررات الدراسية ، مما نعانى من انعدامه فى الوقت الحاضر. ومن الجهة الاخرى يشجع التعريب اكبر عدد من خريجى الثانويات على الاقبال على الفروع العلمية ، بينما نجد الكثيرين منهم فى هذا الوقت يعدلون عن العلوم الى الآداب بسبب تخوفهم من اللغة الاجنبية . وعلاوة على ذلك فان تعريب العلم يمكن من توفير المادة العلمية المطبوعة لاكبر عدد من ابناء الشعب ، بلغتهم التى يفهمونها ، فيساعد على تأصيل العلم فى هذه البلاد ، ويؤدى الى خروجه من دائرته الضيقة، ونشر الثقافة العامة بين الجماهير ، كما هى الحال فى البلاد الراقية .

اهم التوصيات

من كل هذا نخلص الى ان انجاح مشروع التعريب فى جامعاتنا يتطلب تنفيذ خطة محكمة متكاملة لا يمكن ان ينفذ اليها الاخفاق . ويمكننا ايجاز الخطوط العريضة لهذه الخطة بما يأتى :

1 — السير فى برنامج متصل لتعريب التدريس الجامعى ينفذ من العام القابل او الذى يليه ، فيشرع بتطبيقه اولا على طلبة السنة الجامعية الاولى ، وبعد نهاية العام يطبق على طلبة السنة الثانية ،

وهكذا يستمر دون توقف حتى يشمل جميع سنى الدراسة الجامعية .

2 ــ المباشرة حالا بتنفيذ برنامج محكم لتأليف وترجمة المقررات الدراسية لتكون مهيأه فى اى وقت لسنتين جامعيتين مقبلتين على الاقل .

3 ــ تطبيق برنامج قويم لتدريس الطالب الجامعى اللغة الاجنبية العلمية بصورة مستمرة لتمكينه من المتابعة العلمية ، ومواكبة التطور العلى ، واكمال التخصص .

4 ــ انشاء شعب وطنية للتعريب فى وزارات التعليم العالى تضم اختصاصيين وموظفين لمتابعة برامج التعريب ونشاطاته وتجميع المصطلحات التى يقوم بها الافراد والهيئات العلمية وتنسيقها لتوفيرها للعاملين فى الحقول العلمية ، وتزويد المكتب الدائم للتعريب بها .

5 ــ عقد ندوات قطرية سنوية للتعريب يحضرها مندوبون عن الهيئات العلمية والمعنيون بشؤون التعريب لدراسة مشاكله ومناقشة المصطلحات العلمية واقرارها .

6 ــ العمل على انشاء اتحاد عربى للتعريب على غرار الاتحاد العلمى العربى يضم ممثلين عن الشعب الوطنية ومندوبا عن المكتب الدائم للتعريب لعقد اجتماعات ومؤتمرات دورية فى العواصم العربية المختلفة يدعى اليها ممثلو الاتحادات والهيئات العلمية والعلماء المعنيون بشؤون التعريب لبحث قضاياه ومناقشة المصطلحات لتنسيقها وتوحيدها فى العالم العربى .

7 ــ اصدار تشريعات فى اقطار المشرق العربى لاحلال الارقام الغربية المستعملة فى اوربا واقطار المغرب العربى محل صور الارقام المستعملة فى الوقت الحاضر .

8 ــ رفع مستوى العربية فى مرحلتى الدراسة الابتدائية والثانوية ، بفرض استعمال الفصحى فى التدريس ، وتجاوز بعض قواعد النحو المعقدة الى التأكيد فى المناهج على الجوانب التطبيقية من اكثار التمرين على المحادثة والقراءة والكتابة ، وحفظ النصوص الرفيعة وزيادة المطالعات فى الكتب العلمية لاغناء الطالب بمصطلحاتها .

9 ــ العمل على تحقيق فكره المعجم العربى الموحد ، بصيغتين : انجليزى ــ عربى ، وفرنسى ــ عربى ، ليضم مصطلحات الفروع العلمية المختلفة ، على غرار المعجمات العلمية العالمية ، وتفريغ هيئة من العلماء له .

*

نحو تنسيق أفضل للجهود الرامية إلى تطوير اللغة العربية

الدكتور تمام حسان
عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة

لم يكن للعرب من قبل ولن يكون لهم من بعد ما هو اثمن ولا اولى ولا ادعى للعناية من لغتهم . لان اللغة العربية وعاء التجارب العربية ومظهر الشخصية العربية ورابطة الاجيال العربية والحبل الذى يعتصم به ابناء الامة العربية فى حاضرهم ومستقبلهم . فاذا فرقت السياسة والمصالح الاقليمية بين العرب وحدت اللغة بينهم فى الفكر وربطت بينهم فى الامل ومثلت فى اعينهم قضية مريدة يتفقون فى الحفاظ عليها وارادة التنمية لها ومحاولة تطويرها وتيسير فهمها وجعلها اداة دولية تنبىء عن اهمية امة كثر اعداؤها والطامعون فيها واستأسدت من حولها القوى التى تريد الحط من قيمتها اذا لم تتمكن من القضاء عليها . واللغة العربية سلاح العرب فى معركة البقاء : بها غلبوا فى الماضى ولن يغلبوا الا بها فى المستقبل . وحين بعث الله رسوله بدين الحق اعطاه من اللغة معجزة خالدة كانت سببا فى اقبال الامم على العرب ، ويوم تكلمت الامم لغة العرب اصبح سجين الصحراء فى الجاهلية داعية الحرية فى الاسلام واحست الامم المغلوبة ذوات الثقافة ان البدوى الذى كان دونها حضارة اصبح ندا لها ان لم يكن شعاعا يهديها ، واتخذت من العربية لغة لها لا تفهم ثقافة الاسلام الا بها ؛ ثم تساءلت هذه الامم بروح الغيرة عن سر هذا التفوق فلم تجد له جوابا الا فى اللغة . وحين اطلت الشعوبية برأسها كانت اللغة العربية لغة العرب والشعوبيين على السواء . ولعل هذا هو السبب الذى لم يجعل للشعوبية ذات خطر عظيم فى بدايتها ولكن نتائجها كانت اخطر حين عنى ابناء الامم بلغاتهم ثم امسكوا عن استعمال اللغة العربية فى النهاية . فكانت هذه خسارة تاريخية للعرب : حدث ذلك فى ايران وما وراء النهر وفى اسبانيا وكاد يحدث فى الشمال الافريقى ويحدث اليوم فى فلسطين . وان مؤتمركم هذا ليلتقى فى ارض تعرف قيمة اللغة العربية بما سلط الله عليها من غزو لغوى دام اكثر من مائة عام فكاد يقضى على عروبة هذا الشعب الباسل بالقضاء على لغته ، ولكن الله الذى قضى بالبلاء هو الذى منح الصبر والمصابرة وقضى بالنصر اخيرا للشعب الجزائرى ولغة العرب فاللهم حمدا على ما ابتليت وشكرا على ما حميت انك على ما تشاء قدير .

افئن كان هذا خطر اللغة فى حياة الامة افلا يكون من واجبنا المقدس تقديسا يفوق كل المعايير ان نبحث ونتباحث فى وسائل الحفاظ عليها ثم تنميتها وتطويرها

ثم العمل على تيسيرها ونشرها فى الداخل والخارج ؟ نعم هذا واجبنا فرادى وجماعات . وهذا المؤتمر الموقر خطوة مباركة فى سبيل هذا العمل القومى العظيم ، وان كل بحث يلقى فى هذا المؤتمر ليعد فى نظرى وقفة فى ساحة الجهاد فى سبيل الله والعروبة والاسلام يقفها جندى مدرب شاكى السلاح لا يضيره الا بريق السدم بسيفه اذا اراق الحبر بقلمه .

وسيتجه هذا البحث منذ البداية الى التفكير فى ايسر السبل « نحو تنسيق افضل للجهود الرامية الى تطوير اللغة العربية » حتى تأخذ هذه اللغة مكانها الطبيعى الذى يؤهلها له تاريخها وثقافاتها وغناها وطواعيتها وصلاحيتها لان تكون اداة علم وفن كما ثبت لها ذلك فى عصور هامة من تاريخ البشرية . ولعل اول خطوة لتحديد الدواء ان نعرف موطن الداء ومن ثم يجدر بنا ان نلقى نظرة فاحصة فى تراكيب العربية من جهة وفى ظروفها الاجتماعية من جهة اخرى فلعلنا ان فعلنا ان نصل الى تشخيص مقبول لاوجه النقص والعقبات التى تقف حائلا دون تطوير لغتنا الفصحى . والذى يبدو لى ان هذه الاوجه يمكن ان ترتب على النحو التالى :

ا ــ صعوبة القواعد وتطويرها :

شاع بين الناس (عربا وغير عرب) ان اللغة العربية من اللغات التى يصعب تعلمها ، ويرجع الناس ذلك الى ما ينسبونه الى هذه اللغة من نظم معقدة بما فيها من اعراب واعلال وابدال وقلب وحذف وتقدير واستتار وهلم جرا . ولا شك ان اللغة العربية تشتمل على هذه الظواهر ولكن بعض هذه الظواهر نفسها توجد فى لغات اخرى غير العربية ولا يرميها الناس بالصعوبة ، فالظواهر الاعرابية موجودة فى اللغات اللاتينية واليونانية والالمانية والابدال موجود فى معظم اللغات الحديثة واشهر صوره ما يسمونه Liaison فى اللغات الاوربية الحديثة ولن يعز علينا ان نجد بقية هذه الظواهر فى اللغات الاخرى . ومع ذلك لا ترتفع الاصوات بالشكوى ضد هذه اللغات . فلماذا ؟

الواقع ان الطريقة التى تمت بها دراسة النحو العربى لم تكن احسن الطرق الممكنة . فلقد خلط النحاة فى عملهم بين منهج العالم ومنهج المعلم فكان على العالم ان يصطنع المعيارية فى بحثه وهى اسوأ ما يبتلى به منهج البحث وكان على المعلم ان يتعدى عموميات القواعد الى الملاحظات الدقيقة التى ادت فى نهاية الامر الى نشأة المدارس والمذاهب . اضف الى ذلك ان النحاة تجاهلوا فى رصدهم لظواهر العربية امرين على جانب كبير جدا من الاهمية ، اولهما تاريخى وهو تطور اللغة من جيل الى جيل وثانيهما اجتماعى وهو اختلاف اللهجات من قبيلة الى قبيلة . فأما بالنسبة للاول فلم يفرقوا بين لغة امرىء القيس ولغة ابن هرمة او بشار بن برد . وبين هذا وذاك حوالى ثلاثة قرون تطورت فيها اللغة فى بنيتها وفى اسلوبها تطورا يستحق التسجيل . واما بالنسبة للثانى فقد طفق النحاة يختارون القبائل ليأخذوا اللغة عنها فكان اختيارهم بلا منهج سليم . ذلك بأنهم عددوا القبائل وكان الاولى بهم ان يدرسوا النحو فى كل لهجة على حدة بما للهجات من اختلاف الانظمة . وحين عددوا افردوا ما سموه قبائل وسط الجزيرة ونفوا ما عداها واقاموا نحوهم على هذا الاساس ولكن شواهدهم لم تلتزم بذلك فاستشهدوا بكل شعر حتى شعر العباديين . وفوق ذلك كان اعتمادهم عند الاستشهاد على الشعر فى الاساس عملا ليس له ما يبرره ، فلقد ادى ذلك الى ان يصبح النحو العربى مزجا غريبا من القواعد والرخص والضرائر والشواذ الخ . لان لغة الشعر بطبيعتها لا تستقيم الا مع هذه الرخص والضرائر ، ولان لغة النثر نفسها تستعمل هذه الرخص فى غير القليل من الحالات . وفوق كل ذلك ان النحاة بنوا نحوهم على نظرية العامل فعلقوا جمهور المعانى على العلامات الاعرابية مع ان هذه العلامات لا تعين على كشف المعنى فى المقصور والمنقوص والمبنى والجملة ذات المحل ، كما ان العلامات الاعرابية اقل من الابواب النحوية فلا بد ان يستدل بالعلامة الواحدة على اكثر من باب واحد ولو تعلق المعنى بمفرد العلامة فى هذه الحالة ما استطاع الناس ان يلمنوا اللبس . من هنا افسحت المشاكل الطريق للخلافات وادت الخلافات الى المذاهب وتكلمت المذاهب فى الشاذ والقليل والنادر والمسموع والمقيس والمطرد الى غير ذلك . وطالت كتب النحو بهذه الخلافات حتى اصبح الباحث عن القاعدة المجردة كالباحث عن الابرة فى كومة القش . وهكذا رميت اللغة العربية بتهمة الصعوبة وكان ذلك بسبب منهج النحاة .

ذكرنا من قبل ان اللغة العربية ليست ببنائها وتركيبها صعبة وان الصعوبة التى يصادفها المتعلمون لها انما

تعود الى عيوب فى منهج النحاة العرب من جهة والى الطرق المستخدمة فى التعليم من جهة اخرى ، وهذان امران يرجع اولهما الى علم اللغة النظرى :

Theoritical Linguistics ويرجع ثانيهما الى علم اللغة التطبيقى Applied Linguistics من جهة والى فنون التربية والتعليم من جهة اخرى . ولقد اشرت من قبل الى بعض العيوب فى منهج النحاة العرب وقلت انها ترجع فى عمومها الى اصطناع افكار من خارج حقل اللغة والى الاعتماد فى فهم النص على التعليل والتاويل دون مجرد الوصف والتبويب . واوضح ما يرد لى فى هذا الصدد ان النحاة اقاموا نحوهم على نظرية العامل وانهم ارتضوا نوعا من التحليل اللغوى للقواعد سموه الاعراب التقديرى وآخر سموه الاعراب المحلى . ومن الواضح ان التحليل الاعرابى لاى نص لغوى انما هو تحديد وظائف الكلمات وعناصر التركيب الاخرى فى السياق واذا وصل المعرب الى تحديد هذه الوظائف فمعرف ان هذه الكلمة فاعل وتلك مضاف اليه او تمييز وان هذه النون للوقاية وليست للرفع او التوكيد فقد وصل من عمله الى غايته ولم يدع بعد ذلك من وجهة نظر الاعراب زيادة لمستزيد . فهل يمكن من خلال القول بالعامل فقط ان يصل المعرب الى تحديد هذه الوظائف الاعرابية ؟ الجواب لا بكل تأكيد . لان نظرية العامل تعلق المعنى النحوى على العلامة الاعرابية وهى الحركة او ما ينوب عنها ولكن هذه العلامة الاعرابية غير كافية فى التحليل الاعرابى للاسباب الآتية :

أ ـ ان عدد ابواب النحو اكثر من عدد العلامات الاعرابية فلا مناص من اشتراك عدد من الابواب فى علامة واحدة كالفاعل ونائبه والمبتدا والخبر واسم كان وخبر ان والتابع المرفوع كل ذلك يشترك فى الضمة وكالمفعولين والحال والتمييز والمستثنى والمختص والمصدر النائب عن فعله الخ .. اذ يشترك كل ذلك فى الفتحة وكالمجرور بالاضافة والمجرور بالحرف الخ.. اذ يشترك فى الكسرة . فلو علقنا المعنى الاعرابى على العلامة الاعرابية والالة هذه لادى بنا ذلك الى اللبس لا محالة .

ب ـ واذا علقنا المعنى الاعرابى على العلامة الاعرابية فكيف نصل الى اعراب المبنيات التى لا يتغير آخرها والى اعراب المقصور والمنقوص المرفوع والمجرور والى اعراب الجمل المعبرة عن معنى المفرد ؟

ج ـ واذا علقنا هذا المعنى الاعرابى على العلامة الاعرابية بمفردها فكيف يمكن لنا اعراب الشواذ الاعرابية وما اكثرها وكذلك القلائل والنوادر والمسموع دون المقيس .

ليست العلامة الاعرابية اذن قرينة مفردة على المعنى ولكن هناك عددا من القرائن الاخرى كان على النحاة ان يسلكوها فى نظام واحد بدلا من الاشارات العارضة الى بعضها دون السياق واهمال بعضها الآخر اهمالا تاما . وخطة القرائن النحوية تبدو على الصورة الآتية :

هناك قرائن معنوية يفهمها المعرب من سياق الكلام وهى كما يلى :

اولا : قرينة الاسناد : وهى العلاقة التى تربط بين طرفى الجملة المفيدة كربط الفعل بالفاعل او نائبه وكربط المبتدا بالخبر ثم هى المعنى الذى يسمح للفظ المفرد ان يفيد افادة كاملة كما فى نعم ولا وما سماه النحاة الجملة التى حذف احد طرفيها ، فلولا قرينة الاسناد المفهومة من السياق ما فهم المعنى التام من هذه المفردات

ثانيا : قرينة التخصص : وهى تضم تحت جناحيها عددا من القرائن التى تعتبر فروعا عليها كالتعدية والغائية والظرفية والمعية والتاكيد او التحديد والاخراج والملابسة والتفسير وكل واحدة من هذه القرائن الفرعية تفهم معنى نحويا خاصا ، فالمعانى التى تفهم منها على الترتيب هى المفعول به والمفعول لاجله (ومثله المضارع المنصوب باللام وكى وحتى والفاء ولن واذا) والمفعول فيه والمفعول معه (ومثله المضارع المنصوب بعد الواو) والمفعول المطلق والمستثنى والحال والتمييز وكل واحد من هذه المنصوبات يعتبر مخصصا لعموم دلالة الاسناد فى جملته .

ثالثا : قرينة النسبة : ويقع تحتها المجرور على الاضافة والمجرور على معنى الحرف ، فالمعانى الفرعية التى تقع تحت عنوان النسبة تبلغ حوالى ثلاثين معنى هى حاصل جمع الاضافة ومعانى حروف الجر .

رابعا : قرينة التبعية : وهى التى يفهم بها النعت والعطف والتوكيد والبيان والبدل .

خامسا : المخالفة : وهى قرينة طائفة من المنصوبات لا يمكن ان تفسرها فكرة العامل وانما يكون النصب فيها للمخالفة بين المنصوب فى التركيب وبين مرفوع او مخفوض يشبهه تماما فى تركيب آخر على النحو التالى :

نحن العرب نكرم الضيف
احببت ان يقوم زيد
كم عمة
ما احسن زيدا
سقيا لك ورعيا
اضحكا فى الصلاة

لمخالفة نحن العرب — مبتدأ وخبر
لمخالفة علمت ان يقوم زيد — ان مخففة
لمخالفة كم عمة — مضاف اليه
لمخالفة ما احسن زيد — نفى
لمخالفة سقى لك ورعى — مبتدأ وخبر
لمخالفة اضحك فى الصلاة — مبتدأ وخبر

وهلم جرا . وهذه القرائن المعنوية كما سبق هى العلاقات السياقية فيما عدا المخالفة فهى علاقة فى نطاق النظام النحوى فى عمومه . والقرينة المعنوية غير يسيرة الادراك بمفردها ولذلك كان على اللغة ان تعززها بعدد من القرائن اللفظية التى تعتبر معالم للطريق يهتدى بها المعرب وهذه القرائن اللفظية كما يأتى :

البنية — العلامة الاعرابية — المطابقة — الربط — التضام — الرتبة — الاداة — النغمة فى الكلام المنطوق. ولا بد من ان يتضافر عدد من هذه القرائن اللفظية مع القرينة المعنوية المعينة المخصصة لمعنى نحوى بعينه، وهذا المبدأ مبدأ تضافر القرائن هو البديل المنهجى للقول بالعامل النحوى . وقبل ان اشرح هذه العبارة دعنا نعرب قام محمد ليصلى لنرى كيف تتضافر القرائن على المعنى التحليلى الذى يسمى الاعراب .

قام : فعل ماض بقرينة الاسناد لانه متبوع باسم مرفوع صالح لان يسند اليه الفعل وبقرينة البنية لان هذه الصيغة من صيغ الماضى .
وبقرينة الرتبة لانه سابق على الفاعل .

محمد : فاعل بقرينة الاسناد لانه كما يقول النحاة هو المسند اليه فى الجملة .
وبقرينة البنية لاسم وليس فعلا ولا حرفا
وبقرينة العلامة الاعرابية لانه مرفوع .
وبقرينة المطابقة لان الفعل معه مسند الى المفرد الغائب .
وبقرينة التضام لان كل فعل فلا بد له من فاعل (هكذا زعم النحاة) .
وبقرينة الرتبة لانه متأخر عن الفعل ولو تقدم لم يكن فاعلا .

اللام : حرف بقرينة البنية .
وبقرينة معنى الغائية الذى تفيده .
وبقرينة الرتبة المتقدمة على ضميمتها وهذا من شأن الحروف .

يصلى : فعل مضارع بقرينة البنية .
منصوب بدليل العلامة الاعرابية .
وكان نصبه على معنى الغائية بدليل معنى اللام وذلك هو نفس المعنى الذى ينصب معه المفعول لاجله وقرينة ارتباطه بمعنى اللام هو التضام لان اللام مفتقرة الى مدخل هو الفعل هنا .
وقرينة اخرى على ارتباطه باللام هى الرتبة بينهما .

ذلك مما اسميه مبدأ تضافر القرائن . وفائدته انه يرصد لامن اللبس فى المعنى النحوى حراسا متعددين لا حارسا واحدا ما دام قد ثبت لنا ان هذا الحارس الواحد (العلامة الاعرابية) قد يخفى احيانا ولولا الحراس الآخرون لاصبح المعنى مباحا لشياطين اللبس. هذا تأصيل جديد للنحو العربى او فلنقل هذا ترتيب جديد لأصول النحو يذهب بالتعليل والتأويل الى غير رجعة ولا سيما اذا اضفنا الى « تضافر القرائن » مبدأ آخر اهم واخطر هو مبدأ « الترخص فى القرائن عند امن اللبس » ، وسنرى ان هذا المبدأ الاخير يذهب الخلافات النحوية ويجعل القول بالندرة والشذوذ والقلة والمسموع الذى لا يقاس عليه قولا لا معنى له ولا جدوى منه الا اطالة النحو وتعقيده وجعله اشبه ما يكون بنظام فلسفى تأملى اظهر العلم التجريبى بطلانه على نحو ما بطلت الطبائع الاربع .

وينبغى لنا الآن ان نضرب الامثلة على الترخص فى القرائن عند امن اللبس ونعرض فى تمثيلها لهذا المبدأ القرائن اللفظية الواحدة بعد الاخرى . ومن الضرورى ان نقول منذ البداية ان القرينة المعنوية لا يترخص فيها ابدا لانها علاقة ولانها معنى وظيفى ولا يعقل ان نترخص فى العلاقات والوظائف . وهناك امثلة فى القرائن اللفظية واحدة بعد الاخرى .

١ ـ الترخص فى البنية :

● تحافظ اللغة على ان تجعل من صفة « ال » صفحة

صريحة . ولكن اذ امن اللبس جاءت غير ذلك ومثاله :

ما انت بالحكم الترضى حكومته
من القول رسول الله منهم
صوت الحمار اليجدع

● تحافظ اللغة على ان تجعل خبر كان واخواتها فعلا مضارعا فاذا امن اللبس جاء الخبر غير ذلك . ومثاله:

فطفق مسحا بالسوق والاعناق
فأبت الى فهم وما كدت آيبا .. الخ

● تحافظ اللغة على ان يكون المبتدا معرفة فاذا امن اللبس (ما لم تفد) جاء نكرة . ومثاله :

امر بمعروف صدقة
قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى .
سلام عليكم .

ويضيق المقام عن ذكر آلاف الشواهد على الترخص فى البنية عند امن اللبس وقد فصلت القول فى الترخص فى القرائن فى كتابى « اللغة العربية مبناها ومعناها » وفى بحث تقدمت به لمسابقة مكتب تنسيق التعريب فى العام الماضى فحصل على الجائزة الاولى .

ب ــ الترخص فى العلامة الاعرابية :

وامثلة ذلك اكثر من ان تحصى ومنها :

خرق الثوب المسمار ــ جحر ضب خرب ــ ان هذان لساحران (بتشديد نون ان) ــ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى .. ــ ان اباها وابا اباها قد بلغا فى المجد غايتاها ــ كأن لم ترى قبلى اسيرا يمانيا ــ وحلت سواء القلب لا انا باغيا سواها ولا عن حبها متراخيا ــ كأن اذنيه اذا تشوفا قادمة او قلما محرفا ــ ان تقرآن على اسماء ــ الم يأتيك ــ ما للجمال مشيها وئيدا ــ وكل نعت مقطوع فهو من هذا القبيل .

ج ــ الترخص فى المطابقة :

وهو ايضا مشروط بأمن اللبس وامثلته :

والملائكة بعد ذلك ظهير ــ وما حب الديار شغفن قلبى ــ ولا ارض ابقل ابقالها ــ فانى وقباربها لغريب ــ هذان خصمان اختصموا ــ وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ــ حين قال الوشاة هند غضوب ــ انا الذى نظر الاعمى الى ادبى ــ وكل ما سماه النحاة التغليب يحمل فى طيه ترخصا فى مطابقة المغلب عليه ــ وقد كان يمكن ان يحمل على هذا الترخص اعادة ضمير المؤنث المفرد الى جمع التكسير ولكن اطراد الظاهرة يحول دون هذا القول ــ وكل ما سماه النحاة التفاتا فهو من هذا القبيل قطعا .

د ــ الترخص فى الربط :

● يحذف الضمير الرابط عند امن اللبس نحو : « اهذا الذى بعث الله رسولا » ــ كان ثدياه حقان (اى كأنه) ــ ما اعف واكرما (اى ما اعفها) .

● تحذف الفاء الرابطة فى جواب الشرط عند امن اللبس نحو : من يفعل الحسنات الله يشكرها ــ ومن لا يزل ينقاذ للغى والصبا سيلقى على طول السلامة نادما ــ

● تحذف الفاء الرابطة فى جواب اما نحو : فأما القتال لا قتال لديكم .

● وتحذف اللام الرابطة من جواب لولا المثبت نحو : لولا زهير جفانى كنت منتصرا ــ وكم موطن لولاى طحت كما هوى .

هـ ــ الترخص فى التضام :

وهو كغيره مشروط بأمن اللبس ويتمثل فى الحذف والزيادة والفصل بالاجنبى نحو :

● قد يحذف ما يعتمد عليه الوصف المغنى فاعله عن الخبر نحو خبير بنو لهب .

● وقد يحذف المبتدا او الخبر اذا امن اللبس وتقول عبارة النحاة اذا دل عليه دليل والمعروف ان الجملة الاسمية تقوم على تضامهما فكل منهما لازم للآخر .

● وقد تحذف صلة الموصول على رغم افتقاره اليها وذلك اذا امن اللبس نحو :

« نحن الاولى فاجمع جموعك ثم وجههم الينا » .

● قد تحدث زيادة بين المتضامين كما فى نحو :

فى غرف الجنة العليا التى وجبت
لهم هناك بسعى كان مشكور
فى لجنة غمرت اباك بحارها
فى الجاهلية كان والاسلام
وليست سربال الشباب ازورها
ولنعم كان شبيبة المحتال

سراة بنى ابـــى بكر تسامـــى
على كل المسومـــة العـــراب

● قد يسقط احد مفعولى ظن وهما متضامـــان وذلك عند امن اللبس ـــ والامثلة على هذا الترخص اكثر من ان تحصى :

و ـــ الترخص فى الرتبة : وذلك عند امـــن اللبس فاذا لم يؤمن اللبس التزمت الرتبة التزاما لا مناص منه.

● فيجوز تقديم الخبر على المبتدأ الا عند اللبس كما فى اخى صديقى فيكون الاول هو المبتدا .

● ويجوز تقديم المفعول على الفاعل الا عند اللبس كما فى ضرب موسى عيسى فيكون الفاعل اولا .

● ويقال مثل ذلك فى اسم كان وخبرهـــا وفى مفعولى ظن وفى مفعولى اعطى .

● واذا امن اللبس تقـــدم المعطـــوف نحـــو : « عليك ورحمة الله الســـلام » .

● واذا امن اللبس ايضا عاد الضمير على متأخر لفظا ورتبة نحو : « قل هو الله احد » .

● واذا امن اللبس تقدم المستثنى نحـــو : « ومالى الا آل احمد شيعة » وهلم جرا .

ز ـــ التـــرخص فى الاداة :

● قد تحذف همزة الاستفهام عند امن اللبس نحـــو : « ثم قالوا تحبها قلت بهرا » وتقول الكميت : « وذو الشيب يلعب » وقوله تعالى : « وتلك نعمة تمنهـــا على ان عبدت بنى اسرائيل » ؟

● قد تحذف واو العطف عند امن اللبس وهـــذا مـــا يسميه النحاة تعدد الخبر نحو زيد كـــاتب شـــاعـــر وتعدد النعت نحو : جاء زيد الكاتب الشاعر وتعدد الحال نحو : جاء زيد كاتبا شـــاعرا وشـــواهـــد ذلك كثيرة جـــدا .

ح ـــ التـــرخص فى النغمـــة :

والنغمة قرينة فى الكلام المنطوق ويبدو ذلك واضحا فى نطق الشواهد التى سقناها على حذف اداة الاستفهام وفى غير ذلك مما نسمعه فى كلامنا العادى فانت تستطيع ان تعطى لفظا مثل لفظ الجلالة منطوقا بمفرده ما تشاء من معانى الجمل النحوية كالاستفهام والتعجب الخ . ومثل ذلك ممكن مع عبارة مثل « ياسلام » حيث تكون النغمة قرينة هامة على المعنى المراد . ومع ذلك يمكن ان نترخص فى النغمة بواسطة القراءة الصامتة ونحوها وعند الكتابة الى صديق وهكذا .

ان تطوير اللغة العربية فى هذا المجال يمكن ان يتم بواسطة كتاب فى النحو طبقا لهذا المنهج وسنرى بعد ذلك نتائج هامة فى حقل القواعد منها :

أ ـــ اعادة اعتبـــار القراءات الشاذة والاحـــاديث المتـــاولـــة .

ب ـــ تخليص النحو من الخلافات .

ج ـــ تيسير فهم النص العربى بتأكيد النظـــرة الى جميـــع قرائنـــه .

د ـــ تخليص النحو من الافكار الغريبة الوافدة من الفلسفة وغيرهـــا .

هـ ـــ الوصول الى نظام مطرد للنحو قواعده محدودة العدد سهلة الفهم ونفى ما عدا هذه القواعد بواسطة مبدأ الترخص الذى سبقت الاشارة اليه .

ز ـــ الغاء نظرية العامل والغاء الاعرابين التقديرى والمحلى اللذين يفهمان بقرائن معنوية او لفظية ليس من بينها العلامة الاعرابية التى هى مناط التقدير والمحل الاعـــرابـــى .

2 ـــ بنـــاء المعجم وتطويـــره :

من المسلم به ان المعجم لا يستغنى فى بياناته عـــن الاعتبارات الصرفية التى توضح بنية الكلمة ولا عـــن الاعتبارات الصوتية التى تبين ضبط نطقها ، ولقد رأى المعجميون قديما وحديثا ان هذا الاساس (الصوتى ـــ الصرفى) جزء لا يتجزأ من معنى الكلمة المراد شرحها وحفلت المعاجم العربية بذكر ابواب الثلاثى وبناء حركة المضارع بقول المعجم « كضرب » او كسمع او كنصر الخ . كما حافظت هذه المعاجم على ضبط نطق الكلمات بايراد كلمات اخرى على وزنها فيقال ان هذه الكلمة ككتاب او كفلام او كسحاب او كجعفـــر الخ . ولكـــن المعاجم العربية كانت شديدة المبالغـــة فى الاعتـــداد بالاعتبارات الصرفية حين جعلت مداخلها حروف المادة الثلاثة اذ كان من نتائج ذلك ان يضطر الناظر فى المعجم الى معرفة الصلات الاشتقاقية بين مشتقات المـــادة الواحدة ، كما يتحتم عليه ان يعـــرف الالف الواويـــة والالف اليائية وان يعرف الاصلى والزائد وهلم جرا .

والمعروف ان المعنى المعجمى هو معنى الكلمة المفردة وليس معنى الكلمة فى السياق واذا كان معنى الكلمة فى السياق مما يؤمن فيه اللبس فان المعنى المعجمى لا بد ان يكون متعددا ومحتملا . خذ معنى ضرب مثلا وهى حالة افرادها وحاول ان تزعم لها معنى محددا فلن تستطيع ذلك دون ان تضعها فى سياق .

ويتضح ذلك مما يلى : ضرب زيد عمرا ـــ ضرب الله مثلا ـــ ضرب له موعدا ـــ ضربت له قبة ـــ ضرب النقود ـــ ضرب فى الارض ـــ ضرب رقما قياسيا وهلم جرا ، فالضرب فى المثال الاول ايجاع وفى الثانى ذكر وفى الثالث تعيين وفى الرابع اقامة وفى الخامس صياغة وفى السادس سعى وفى السابع تفوق . فكل من هذه المعانى صالح للكلمة ما دامت مفردة ، فاذا وضعت فى سياق تعين لها واحد من هذه المعانى دون سواه . ومن واجب المعجم ان يسوق بعدد هذه المعانى من النصوص ما يحددها تحديدا تاما ولكن المعاجم العربية اتكلت على الالف فى الكثير من الاحيان فقالت فى شرح الكلمة عبارات لا تغنى طالب المعنى فتيلا . وذلك ان تقول مثلا : موضع (دون ان تحدده جغرافيا او تاريخيا) او نبات معروف (وقد زعمت ان هذا النبات سيكون معروفا لقراء المعاجم حتى المناطق النباتية التى لا تعرفه) او ماء لبنى فلان (وقد يجهل طالب المعنى بنى فلان ولين كانوا يقيمون) وقد يشكك المعجم نفسه فى المعنى فيقول : كذا وقيل كذا . وقد يورد المعجم اسما لآلة كالمنجنيق او الدبابة او غير ذلك ثم يكتفى بعبارة قصيرة لشرح هذا اللفظ دون ان يصف المسمى وصفا يمثله فى ذهن القارئ . وقد ينسب المعجم موضوعا الى لون من الالوان يحتاج الى تحديد دقيق فيصف هذا اللون وصفا غامضا بقوله : (وهو اقرب الى الحمرة او الخضرة او الصفرة) مع ما يشمل عليه هذا القرب من ظلال الالوان التى يبعد بعضها عند الوصف الدقيق عن بعض . وقد يحدد الموقع معجميا بقوله : مسيرة ليلة من مكان كذا ولا يعلم القارئ ان كان المسافر هنا راجلا او راكبا جملا او حمارا او حصانا وقد يتورط المعجم فى معلومات اسطورية كأن يقول فى لقمان مثلا انه ابن عاد وقد يتورط فى طابع مذهبى او دينى كالذى نلاحظه فى المنجد اذ يبسط القول فى شرح ما يتعلق بالمسيحية ويبتره فى شرح ما يتعلق بالاسلام .

ذلك هو بعض الصعوبات المعجمية التى يلاحظها الناس عند استعمالهم اللغة العربية وهى صعوبات تسلم فى مجموعها الى اللبس وهو اعدى اعداء اللغات.

قلنا ان المعنى المعجمى متعدد ومحتمل وعرفنا كذلك ان المعنى المعجمى هو معنى الكلمة المفردة فلا هو وظيفى تحليلى كالمعنى النحوى ولا هو سياقى يعتمد على المقام كالمعنى الدلالى ، وهذا الطابع الافرادى للمعنى المعجمى يذكرنا بفرع من فروع الدراسات البلاغية يتناول المفردات وذلك هو علم البيان . فعلم البيان يتناول معانى الكلمة المفردة من حيث المطابقة والتضمين واللزوم ومن حيث الاطلاق الحقيقى والاطلاق المجازى ومن حيث المجاز يتكلم فى المعنى من حيث المجاز المرسل والتشبيه والاستعارة والكناية وفى كل يحتفظ علم البيان ، بطابع العناية بمعنى الكلمة المفردة . فاذا نظرنا الى تعدد المعنى المعجمى واحتماله وجدنا هذا التعدد راجعا فى معظم صوره الى اسباب يمكن البحث عنها فى علم البيان ومن هنا يمكن القول بأن بعض عناصر التطوير للمعجم العربى ربما تمت بانشاء علم جديد يسمى علم المعجم يجعل البيان مقدمة نظرية له ويضيف الى ذلك شيئا عن مطالب المعجم وشروط احسانه وتاريخ المعاجم عالميا وعربيا وغير ذلك من الموضوعات مما يتعلق بهذا الفرع من فروع النشاط اللغوى . وانا شخصيا اعتقد ان نشأة هذا العلم ونحوه يمكن ان تكون مساهمة عربية اصيلة فى حقل الثقافة العالمية وقاعدة تصلح لتطوير فكرة المعاجم على اساس من نظرية مقبولة .

وقلنا ان من عيوب المعاجم العربية انها تجعل حروف المادة الثلاثة (او قل الاصل الاشتقاقى الصرفى) مدخلا لشرح المفردات . ولا يخفى ان كل اصل من هذه الاصول يضم تحته عددا من المفردات المراد شرحها يكثر او يقل . ومن هنا يجعل شرط الوصول الى الكلمة المفردة معرفة سابقة باشتقاق الكلمة وبأصولها وزوائدها وذلك امر يتردد فيه احيانا بعض المتخصصين. ومن ثم يصبح الكشف عن معنى الكلمة فى المعجم امرا على قدر من الصعوبة يذكرنا بما تتسم به القواعد العربية ايضا من صعوبة . ونقطة البداية فى التيسير المعجمى هى تحرير المفردات من ربقة الاعتبارات الاشتقاقية بالنسبة للمدخل . فعلينا ان ننظم معاجمنا على الترتيب الهجائى للكلمات لا على الترتيب الهجائى لاصول المادة . لقد باهى الاوربيون كثيرا بغنى لغاتهم بالالفاظ وعابوا على العربية فقرها فى هذه الناحية . قالوا انك اذا احصيت مداخل المعجم هنا

وهناك نستجد الغنى ملحوظا فى اللغـات الاوربيـة ونستجد الفقر ملحوظا فى العربية وفاتهم انك حين تحصى تعد الكلمات المفردة فى لغاتهم وتعد اصول المـواد فى لغتنا وكان عليهم ان يدركوا ان كل اصل من هـذه الاصول يضم تحته العدد العظيم من المفردات . وفائدة تخصيص مدخل لكل كلمة مفردة انك تعطى تأكيدا لكل لفظ مفيد على حدة لان اللفظ المفرد قد لا يرد ذكره ابدا بين مشتقات المادة ويستغنى عن نصه بايراد وزنـه فيقال مثلا : وكسحاب كذا وهكذا تصبح بنية الكلمـة سهلة النسيان واذا غابت عنك البنية غاب عنك المعنى واصبح المعجم قليل الفائدة فى تعليم اللغة . اضف الى ذلك ان تخصيص كل كلمة بمدخل خاص يمكن واضع المعجم من ان يحصى معانيها اللغوية والاصطلاحية على صورة منظمة على نحو ما نراه فى المعاجم الاوربية ، كما يمكنه من ان يشير الى المهجور والمستعمل والى الغريب والمشهور والى المعاصر والقديم ومـا بطـل استعماله منه وما لم يبطل وكل ذلك يصعب تحقيقه مع الترتيب الحاضر للمعاجم العربية . ومن ضرورات التطوير فى معاجمنا الا نجعل الفصاحة مقياسا لصلاحية الكلمة للتسجيل فاللغة العربية الفصحى الحديثة لغة متطورة دائبة التطور مع التغيرات المعاصرة ، وعلى المعجم العربـى ان يرتفـع الى مستـوى هـذا التطور فيسمح للكثير جدا مـن الالفـاظ الحضاريـة والاصطلاحية ان تلج ساحته من مداخلها الواسعة . والا كان المعجم سببا من اسباب الجمود فى هذه اللغة التى نسعى الى تطويرها .

3 ــ الاسلـوب وتطـويـره :

ان اهم ما تحرص عليه اللغة امن اللبس ويلى ذلك فى الاهمية ان يصل اصحاب اللغة باسلوبها الى درجة من الضبط تجعل اللغة مثـلا فى الوضـوح . وبذلك اشتهرت اللغات الحديثة الانجليزية والالمانية والفرنسية ثم يصلوا بهذا الاسلوب الى درجة من الجمال تجذب الناس الى ادبها وتراثها . ولقد كان للغـة العربيـة الشرف ان تكون لغة القرآن وهو المثل الاعلى للوضوح والجمال فى وقت معا . ولكن هذه اللغة نفسها منيت بعد ذاك بالصنعة والتكلف والاطناب المل والمحسنات والعناية باللفظ على حساب المعنى . وتوارى الاسلوب الصحراوى الصادق المباشر المساوى لتحـل محلـه زخارف الترف العباسى وسفاسف الضعف التركى ، وورثت العربية من هذه الزخارف وتلك السفاسف تركة مثقلة تدعو الى الجهد المضاعف فى سبيل الاصلاح .

واذا نسبنا لغة العلم الى الوضوح وجعلنا لغـة الادب للجمال امكننا ان نقول ان كلتا اللغتين تدعو الى مزيد عناية . فأما لغة العلم فقد صحا العرب صحوتهم الاخيرة بعد ان ادلج الناس فى محجـة العلم وهيـأوا لغاتهم لمطالبه وكان اول ما فعلوا فى هذا المجال ان راجعوا اساليبهم العلمية فضبطوها ووصلوا فى ذلك الى ما يسميه الكتاب الانجليز Mathematical precision فأصبحت كلمات الجملة وصياغتها محسوبـة حسابا دقيقا لتؤدى المعنى المراد على صورة تبعد بالقارئ عن اللبس واحتمال الوجهين . وانعكس ذلك على طريقـة عرض المادة العلميـة فأصبحت العنـاصر الواجبـة التقديم هى العناصر التى تقف مما بعدها موقف التمهيد من النتيجة وبذلك تسهل الاشارة فى الفقرة اللاحقة الى الفقرة السابقة . ومن قبيل ذلك ايضا انهم لا يستعملون المجاز ولا العبارة الذاتية كالتعجب والمدح والذم واسماء الافعال والاصوات ونحوهـا ولا يستعملـون المصطلحات الا ان يكون معناها ذا شيوع عرفى والا قدموا ايضاح هذا المعنـى قبـل الدخـول فى البحث نفسـه بمـا يسمـى Glossary وبذلك تسهل قراءة العلم وتتصف اللغة بصفة الاداة العلمية . واذا لاحظنا ما يفعله الكتاب فى ايامنا هذه وجدناهم فى مجموعهم لا يقدمون للبحث بايضاح المصطلحات وانما يلجأون الى بيان معنى كل مصطلح عند ايراده فى النص ــ والبعض لا يفعـل ذلك .

وعيب هذه الطريقة ان القارئ اذا صادف المصطلح فيما بعد اثناء قراءة البحث نفسه كان عليه ان يفتش على معناه تفتيشا مضنيا حتى يجده ولو ذكر معناه فى اول البحث لكان ذلك عليه اسهل . ومنهم من يقف جهله بالعربية دون احكام العبارة ، فتؤدى عبارته احيانا الى اللبس التام واحيانا الى الركة فى الاسلوب ممـا يذهب باحترام بحثه ويقلل من قيمتـه والقـدرة على الانتفـاع بـه .

واما لغة الادب فان قلة العارفين بالقواعـد بـين ادبائنا جعلت ادبنا المعاصر ادبا ملحونا . وزاد الامر سوءا ان عزف ادباؤنا عن العبارة البليغة تحت دعوى العناية بالمضمون ، وما كان للمضمون الجيد ان يتطلب لغة رديئة حتـى ولو كـان للادب ميـول واقعيـة . ولقد مال النقد الادبى فى ايامنا هـذه الى ان يستعير

لغته ومعاييره من بيئات اجنبية فأصبح موقف النقاد من اصالة الادب موقف دعاة الحضارة الحديثة من تعفف المراة العربية كلاهما يرى فيما ينقذه صورة للرجعية لا تتناسب مع مطالب العصر ولو انصفوا لاستنبطوا من الادب الاصيل ومن تعفف المراة العربية المسلمة عناصر للتطور ولم يفرضوا على اجيالنا مقاييسهم الفنية والخلقية المستوردة من بيئات غريبة على فكرنا ولغتنا وتقاليدنا . ولقد كان من حسن الطالع فى وطننا العربى ان النقاد لم يكن لهم من الاثر ما يعفى على اصالة الادب ، ولو استطاعوا لجعلوا من الادب العربى ادبا رمزيا يخاصم المعجم سرياليا يخاصم الوعى او لا معقولا يخاصم المنطق ، فلقد فتن الكثيرون من نقادنا بهذه الاتجاهات الادبية ودافعوا عنها ولكنهم جروا فى الحلبة ساقة ولم يجروا روادا وسلمت للادب اصالته بسبب ضعف هذه المؤثرات النقدية . ولكن الاثر الوحيد الذى تركته هذه المؤثرات هو حرية الشعر واستغلاق العبارة فى النقد ، واذا كانت حرية الشعر تجربة فان استغلاق العبارة مرض ينبغى لنا ان ننهض لعلاجه والقضاء عليه .

هذه مشكلة من اعقد المشاكل التى تواجه دعاة التطوير . فما كدنا ننفض عن انفسنا غبار العصر التركى حتى وجدنا تقاليد اسلوبية عقيمة راسخة الجذور منذ عصور التخلف بل منذ عصور الزخرف العباسى نعم لقد كانت التجربة اللغوية العباسية مصدر نعمة ومصدر بلاء فى وقت واحد . فلقد شهد هذا العصر نموا علميا اعطى اللغة طواعية هائلة فى مجال التعبير عن حقائق العلم ولكنه فى مقابل ذلك شهد نشأة البلاغة باعتبارها منهجا شكليا خالصا للنقد الادبى ، وكان للنقاد البلاغيين اثرهم فى ارساء تقاليد للتعبير الجميل المبنى على الزخرف اللفظى فكان لها صداها حتى فى بعض المتون العلمية ، والذى كان زخرفا جميلا فى عصر العباسيين اصبح حملا ثقيلا على العبارة فى العصور اللاحقة . ونما هذا الاتجاه ، بل استشرى هذا المرض حتى افرغت العبارة العربية من مضمونها الصادق فعمدت الى المبالغة الكاذبة حتى اصبح الاسلوب العربى يحمل فى طياته اشارات خلقية ونفسية واجتماعية تدعو الى الحسرة . وعم ذلك وطم حتى تسلمنا نحن التركة فلم نجد امامنا الا ان نبنى على ركام الماضى وبه. واستمع الآن الى النقد الموجه الى الاسلوب العربى من غير العرب وستسمع منهم كلمات الغموض والاطناب والمبالغة والصنعة الى غير ذلك من العبارات التى يضيق بها الصدر . فما العمل ؟ وكيف نستطيع الوصول الى اصلاح اساليبنا ؟ يقولون ان اسلوب المرء جزء لا يتجزأ من شخصيته . فهل نصلح امر الشخصية العربية اولا قبل ان نتصدى لاصلاح الاسلوب ؟ وكم من الوقت يقتضينا ذلك ؟ ويقولون ان اللغة العلمية لا تحتمل الغموض والاطناب والمبالغة والصنعة . فكيف نصل بأسلوبنا العلمى الى مستوى يتخلص فيه من كل ذلك فنرسى تقاليد للعبارة العلمية الدقيقة باللغة العربية ؟ الق نظرة على الرسائل العلمية التى يكتبها طلاب الدراسات العليا فى الجامعات وستدرك المسافة التى علينا ان نحبوها فى هذا الاتجاه . ويقولون ان الادب ليس مضمونا فقط وانما هو مضمون قيم وعبارة ناصعة صحيحة جميلة — وان على الادب ان اراد ان يصل الى المستوى العالمى ان يجرد المضمون والعبارة على السواء . وقلت منذ قليل ان جهل الكثيرين من ادبائنا بالقواعد العربية جعل الادب العربى ادبا ملحونا فى مجموعه — ولست اتجنى على ادبنا المعاصر . فكيف نقوم المعوج فى هذا الادب ؟

هذه هى المشكلات التى تصادفنا فى سبيل تطوير الاسلوب ولست احمل عصا سحرية استطيع بها ان احصل على الطريقة المثلى لهذا التطوير ولكن الامل الذى يحدونى فى هذا الاتجاه ان يكون هذا الموضوع مشكلة مطروحة فى عدد من المؤتمرات على مستوى الامة العربية كلها — وعسى الله ان يأتى بالفتح او امر من عنده . ولكن الى ان يصل هذا الفتح او ذلك الامر لا بد ان ادق اجراس الخطر فى آذان كتابنا من العلماء والادباء على السواء .

4 — المصطلح وتطويره :

ومن اوجه القصور فى استعمالنا للفصحى ما سبقت الاشارة اليه اشارة عند الكلام عن لغة العلم منذ قليل: وهو فوضى المصطلحات الفنية فى الوطن العربى . وتبدو هذه الفوضى فى مظاهر مختلفة احدها ان العائدين من طلاب البعثات فى جامعات الغرب يعودون الى بلادهم بمادة علمية جديدة ليست ذات اصول راسخة فى البيئة العربية وهم يستعملون فى الكلام فى حقائق هذه المادة مصطلحات اجنبية لا مقابل لها بالعربية فيلجأ كل واحد منهم على حدة الى ايجاد مقابلات عربية لهذه المصطلحات بواسطة الارتجال او التعريب او الترجمة،

ويلجأ غيره الى غير ذلك ، فتتعدد المصطلحات الدالة على فكرة واحدة ، وقد يحدث ذلك فى معهد واحد يضم اثنين من هؤلاء العائدين او اكثر . والصورة الثانية لهذه الفوضى ان نشاط كل مجمع من المجامع اللغوية وكل جامعة من الجامعات العربية وكل هيئة من الهيئات العاملة على تنمية اللغة وتطويرها يتم بمعزل عن نشاط الهيئات الاخرى . ولا بد مع هذه الحال ان تتشعب النتائج وتحدث الفوضى . والصورة الثالثة لهذه الفوضى فى المصطلح ان النشاط المعيارى الذى تقوم به المجامع اللغوية حين تصوغ المصطلحات للافكار الوافدة يتم بمعزل عن تراثنا الثقافى الحافل بالمصطلحات الصالحة للاحياء والاستعمال .

ان كل امة من الامم تفتقر الى الاستمرار التاريخى ليحفظ عليها طابعها واصالتها وان هذا الاستمرار التاريخى لا يتحقق الا باحياء التراث ، واذا لم نحرص على احياء تراثنا العربى الآن فان اجيالنا القادمة ستفقد رابطتها التاريخية بأجيالنا السابقة ، وان الامة العربية اذا لم تحافظ على مقوماتها الفكرية وتمنحها الاستمرار اصبح مجرد الدعوى بوجود امة عربية موضع شك . ولكن كيف نستطيع ان نمنح هذه المقومات الفكرية عنصر الاستمرار ؟ الجواب على ذلك يسير : بالمحافظة عليها وتطويرها . ويتبع ذلك بالطبع انه ليس من المحافظة ولا من التطوير ان نترك مصطلحا استعمله السلف يستخفى استحياء ثم يموت فى بطون الكتب ونعمد الى التفيهق بصياغة مصطلحات جديدة تحتاج الى سند من العرف العام وتفتقر الى حسن نية الكتاب للوصول الى مجال هذا العرف او نعمد الى الاستخذاء بتعريب مصطلح اجنبى ولدينا بديله العربى فى كتب التراث .

وعند الكلام فى تطوير لغة العلم فى اتجاه اللغة المساوية المضبوطة يستحق المصطلح العلمى نظرة خاصة . ان مكان المصطلح من الفكرة يشبه مكان اسم العلم من المسمى . واذا صح فى المسمى احيانا ان ينادى بكنيته او لقبه فلا يصح للفكرة العلمية ان يشار اليها بغير المصطلح العلمى . فهم ذلك القدماء كما فهمه المحدثون . وتعارف الناس قديما وحديثا على التفرق بين الدلالتين اللغوية (وهى عرفية عامة) والاصطلاحية (وهى عرفية خاصة) حتى انهم اذا تعدد الاطلاق الاصطلاحى لكلمة ما حاول الناس ان يفرقوا بين اطلاقاتها المختلفة فيقولون مثلا فى معانى كلمة الفاعل ان معناه فى اللغة الذى فعل وفى النحو الاسم المرفوع الذى تقدمه فعل مبنى للمعلوم الخ .. وفى الفلسفة ضد القابل (والقابلية والفاعلية من المقولات العشر) وفى علم الجريمة مقترفها وهلم جرا . ومن هنا اجد مشكلات التطوير للمصطلح لا تتناول هذا الجانب الاستعمالى الا فى اضيق الحدود كأن تهيب بكتابنا مثلا ان يحددوا مصطلحاتهم التى لم تكتسب الطابع العرفى قبل استعمالها لتكون دلالتها على المراد واضحة .

ولكن هناك جوانب اخرى يحسن لنا ان نفكر فيها عند ما نتناول تطوير المصطلح . من ذلك مثلا الا يشير الكاتب الواحد الى الفكرة الواحدة بأكثر من مصطلح واحد فيسميها هنا باسم وهناك باسم آخر لان ذلك لا بد ان يؤدى الى الغموض وتعطيل الفهم . والكثيرون من كتابنا يقعون فى هذا المحظور ولا سيما من يتصدى منهم للكتابة فيما لا يحسن واكثر هؤلاء فى مجال الصحافة والاعلام . ومن ذلك ايضا يتشعب المصطلح بين العلماء للدلالة على فكرة بعينها واقرب مثال اسوقه لهذا ما الاحظه من المشتغلين بالدراسات اللغوية فالفكرة التى تسمى لدى الغربيين Phoneme تسمى عند البعض الفونيم وعند الآخر بالحرف وعند الثالث بالوحدة الصوتية ، والذى يسميه الغربيون Morpheme يسميه بعضنا بالمورفيم والبعض بالمبنى الآخر بالوحدة الصرفية . وما يسميه الغربيون Consonant يتردد بين الصامت والصحيح ، وما يسمونه Vowel يتردد بين الصامت والمعتل . والامر يدعو دون شك الى الالتقاء عند مصطلح واحد للفكرة الواحدة اذا اردنا حقيقة ان تكون لدينا حركة علمية مزدهرة .

واولى من ذلك بالتوجس امر صياغة المصطلح العلمى توليدا او تعريبا او ترجمة . نحن نعرف اننا فى ايامنا هذه تلاميذ للغربيين نتلقى عنهم الحضارة والعلم والتكنولوجيا ونتخذهم قدوة لنا على محبة التقدم . والافكار تنشأ عندهم فيسمونها بأسماء مشتقة من اللاتينية واليونانية القديمتين وحين تصل الفكرة الينا تحمل معها اسمها التى اطلقه عليها اصحابها . ونحن نريد ان نعرف هذه الفكرة وان نعلمها لابنائنا من الطلاب العرب فبم نسميها ؟ انحتفظ باسمها الاصلى ام نحوره ليناسب طرق الصياغة العربية دون ان يفقد ما يدل على منبعه ام نستلهم لغتنا ان تمدنا بكلمة تحل محل الكلمة نصوغها توليدا ام نترجم هذه الكلمة ترجمة ام نبحث — وهذا اولى ما تقدم من الحلول بالاعتبار —

فى كتب التراث عن مصطلح يدل على فكرة ذات صلة بالفكرة الحاضرة بحيث تعتبر الحاضرة تطويرا لها وتقدما بها فتستخدم مصطلح التراث للفكرة الحديثة ؟

ان الذى اراه ذا جدوى ان الجهات المعنية بالاصطلاح فى الوطن العربى كالمجامع والجامعات والجمعيات اللغوية ينبغى لها عند التفكير فى صياغة مصطلح جديد ان تعود اولا الى تراثنا العربى العظيم تحاول ان تكشف فيه عن مصطلحات بطلب بالتقدم العلمى ولكنها صالحة بحكم تعبيرها عن حقيقة علمية ذات صلة بالحقيقة الجديدة التى يراد ايجاد مصطلح لها ان تعبر عن هذه الحقيقة فعندئذ يكون المصطلح العلمى القديم اولى بالاستعمال من المولد او المعرب او المترجم ، فاذا لم يكن فى التراث ما يصلح ذلك فان التوليد هو الخطوة المنطقية التالية على ان يكون المصطلح المولد مما يسهل ارتباطه بالتعبير عن هذه الفكرة ويلى ذلك تعريب المصطلح الاجنبى وذلك بتقريب بنيته من الطابع العربى من حيث الاصوات والصيغة وقابلية التركيب العربى له ، فلا ينبغى ان يكون متنافر الحروف ولا مما يجتمع فيه ساكنان الخ . واضعف الامور فى هذا النشاط ان نعمد الى المصطلح الاجنبى فنترجمه ترجمة لفظية وعيب هذه الطريقة ان الاطلاق الاصطلاحى غالبا ما ينبغى على تجاهل الاطلاق اللغوى العام . ومن هنا تبدو الترجمة غير مفهمة اضف الى ذلك ان طرق التركيب المزجى فى اللغات الاجنبية قد لا تناسب اللغة العربية فلا يمكن للعربى ان يقدم فى مقابل المركب المزجى مركبا آخر ومن هنا يضطر المترجم الى كلمتين او اكثر فى مقابل الكلمة الواحدة كالذى يحدث عند ارادة ترجمة

او Transcendental او Pseudo-philosophical

او Anglo-Arabian الخ .

هـ ــ التعليم وتطويره :

على الرغم من ان الدراسات العربية كانت فى منشئها نابعة عن ارادة الضبط والتعليم ومواجهة موجة اللحن التى طمت فى البيئة العربية فى العصر الاموى جاء اول كتاب فى قواعد اللغة موسوعة غير صالحة لان تتخذ متنا لتعليم اللغة . ولقد سمعنا ان علماء اللغة انفسهم كانوا يستعظمون هذا الكتاب ويقول احدهم للآخر عند ذكر كتاب سيبويه : « هل ركبت البحر » من هنا احس المؤدبون والمعلمون حاجة ملحة الى الكتب المختصرة لتعليم اللغة حتى كاد اول مختصر يكون معاصرا لكتاب سيبويه نفسه وكان من عمل الكسائى . ويروى ابن النديم فى الفهرست عددا من العلماء الذين عنوا بوضع المختصرات للمتعلمين فيبدى مقدرا عناية السلف بهذه الناحية من نواحى النشاط اللغوى واستمرت عناية العرب بتعليم لغتهم على مر العصور حتى جاء الاحتلال التركى فانحسر المد واستعصمت اللغة العربية بقلاعها من الجوامع التى كان اشهرها الجامع الازهر فى مصر . فلما عنى العرب بتعليم اللغة فى العصر الحديث لم تعد الكتب القديمة ملائمة لنتائج التربية الحديثة ولم يكن للعرب من القدرة على تطبيق هذه النتائج ما يسمح لهم ان يرتفعوا بتعليم لغتهم الى مستوى تعليم اللغات الغربية . ومن هنا اتسع البون فى ميدان التعليم بين لغتنا ولغات الغرب ورسفت اللغة فى قيود ما ذكرنا من عيوب قواعدها واشتهرت بالصعوبة بين الناس وعزف ابناؤها عن تعلمها ووسموها بالتخلف حتى راينا المثقفين المحدثين يتندرون بأصحاب الثقافة العربية الاصيلة ويرون فيهم مثلا من امثلة الرجعية . العيب الاساسى اذا فى تعليم اللغة العربية هو تخلف هذا التعليم من جهتين اولاهما اختلاط منهج القواعد العربية بأفكار غير نحوية جاء بعضها من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام وجاء بعضها الآخر من خطأ النظرة فى اصول النحو نفسه باصطناع العلل الغائبة والتأويل ، وثانيتهما تخلف طريقة التدريس ومنهجه عن النتائج الباهرة التى وصل اليها علم التربية وعلم اللغة التطبيقى Applied linguistics

واصبح السائد عندنا اننا لا نفرق كثيرا فى المنهج بين تعليم الصغار وتعليم الكبار وتعليم الاجانب ، ولكل تعلم من هذه طرقه ومناهجه عند الدول المتقدمة . ولقد كان من نتيجة ذلك كله ضعف المستوى العام لمعرفة المتعلمين باللغة القومية حتى ان المرء ليلاحظ هذا الضعف فى البلاد العربية جميعها لا فرق بين واحد منها والآخر فأصبح الامر يدعو الى حملة قومية عربية تتضافر فيها الجهود لتأمين الخبرات والموارد ابتغاء الوصول الى وضع اللغة العربية وضعها الصحيح فى العالم المعاصر .

وهناك امر لا يقل خطورة عما سبق يتطلب عناية العرب وتضحياتهم وهو ما نلاحظه من عجمة التعليم الجامعى فى بعض تخصصاته فلا تزال جامعاتنا تتردى فى منزلق العزوف عن لغتها فى الطب والهندسة وبعض التخصصات الاخرى على الرغم مما لدى العرب من تاريخ ناصع فى هذه الدراسات . ولست ارى السبب فى ذلك راجعا كما يقول المتخصصون فى هذه المواد الى

خوف من الانقطاع عن مجرى البحث العلمى فى العالم وانما يعود هذا التخلف الى جهل المتخصصين فى هذه الفروع بلغتهم القومية وعدم قدرتهم على تأصيل هذه الدراسات بلغتهم العربية ولقد اطمأنوا لهذا السبب الى ان يجعلوا عالمنا العربى تلميذا للغرب .

بنيت التربية اللغوية فى التاريخ العربى على استظهار القواعد من المتون سواء فى ذلك المتون المنثورة او النظرية ، واتخذ المؤدبون فى مختلف العصور موقف الملقن والمصحح فقامت عملية التعليم فى احد جوانبها على التدريب والتصحيح . واللغة تكتسب كما تكتسب العادات والمهارات ولا يكون اكتسابها ولا اكتساب العادات والمهارات الا بمداومة التدريب المبنى على اسس فنية ومنهجية . ولقد حفلت وصايا المؤدبين منذ القديم — واشهرها صحيفة بشر بن المعتمر — على اذكى اللفتات والتوجيهات المترتبة على الخبرة . ولكن الذى لا شك فيه ان تطوير تعليم الصغار وهناك تعليم الكبار (او ما يسمونه محو الامية) ، ويأتى بعدهما تعليم اللغة للاجانب ، ولكل من هذه الانواع منهجه الذى ينبغى ان يكون فيه اختلاف عن منهج الآخر بحكم اختلاف السن او بحكم اختلاف العادات اللغوية بين الوطنى والاجنبى فهذه العادات اللغوية بحكم رسوخها وتأصلها فى النفس لا بد عند التخطيط لتعليم الاجانب . من اخذها فى الاعتبار . وبالنظرة العجلى الى تعليم اللغة العربية فى وقتنا هذا يمكن للمرء ان يرى ان كل دولة عربية تضع مناهجها وبرامجها الخاصة وان عنصر التنسيق لا وجود له تقريبا بين هذه المناهج والبرامج. وقد يقال ان البرامج المختلفة اجتهادات مختلفة للوصول الى كفاءة مرجوة للمتعلم ، ولكن الواقع يكذب هذا الزعم لان حذف اللغة واكتساب القدرة فيها اصبح املا لكل من يلاحظ الضعف العام لمستوى طلاب اللغة وخريجى الجامعات فى الوطن العربى كله وهو امر ينعكس على الحياة العامة التى تتخذ من هؤلاء الخريجين الضعفاء علماء اليوم وكتابه وادباءه اللحانين ذوى الاسلوب الفضفاض .

والذى اقترحه لتعليم اللغة العربية للصغار ان يقوم هذا التعليم لا على اساس المناهج التقليدية السائدة فى الوقت الحاضر وانما ينبغى اولا ان تجرى البحوث الجادة للوصول الى الحصيلة اللغوية لهؤلاء الصغار بتحديد المفردات العربية الفصيحة التى يشيع استعمالها فى كلامهم والمفردات العلمية التى تعتبر قريبة الشبه من مفردات عربية فصيحة ، ثم نجعل من هذه المفردات جميعها نقطة بداية لتعليم الطفل فلا يصطدم الطفل منذ اللحظة الاولى بالغريب من المفردات فيخطر فى باله ان الفصحى لغة غريبة عنه وان تعليمها حمل عليه وهو ما زال غض العود هش البنية . ثم علينا ايضا ان ننظر الى كسب اللغة لدى الطفل نظرتنا الى كسب العادات والمهارات فنعنى بالجانب العملى التدريبى اكثر مما نعنى بالقواعد المعقدة التى قد يحتاج فهمها الى مستوى اعلى من مستوى الطفولة . وليكن هذا التدريب موجها الى اللسان والقلم وليكن مرماه الصحة والطلاقة وبحسبنا ان نسعى الى هاتين الغايتين فى تلك المرحلة المبكرة تاركين الدقة والجمال لمرحلة الفتوة والشباب بعد ذلك .

واجدر شىء بالاعتبار فى تعليم الكبار الاميين ان يرتبط هذا التعليم منذ البداية بالصالح العملى للمتعلم وان تكون امثلة التعليم ماخوذة من التراكيب التى يستعملها المتعلم فى حياته اليومية والا يصر المعلم على الفصيح وانما يصر على المشهور وان كان هذا المشهور موغلا فى العامية . فاذا كان المتعلمون هنا من بيئة متدينة فلا بأس من اختيار قصار الآيات والاحاديث المستعملة كثيرا فى هذه البيئة اذ تجرى الآيات القصيرة او العبارات المأخوذة من الآيات او قصار الاحاديث على السنة العوام يتمثلون او يستشهدون بها احيانا فهذه جزء من لغتهم القومية يسرهم ان يتعلموا كتابتها كما سرهم ان يحفظوها عن ظهر قلب .

والخطب فى تعليم الاجانب افدح لان العادة اللغوية ككل عادة اخرى يصعب اكتسابها جنبا الى جنب مع عادة اخرى متأصلة . وقديما التفت الشاعر الى هذا المعنى بقوله : « فصادف قلبا خاليا فتمكنا » وقلب الاجنبى مشغول بلغته الاصلية وكل انسان فى العالم يرى لغته هى الوحيدة بين اللغات مطابقة للمنطق وانسجاما مع طبيعة التعبير وآية ذلك ان كل عربى فى هذا المؤتمر يرى لهجته العامية الخاصة خيرا من العاميات الاخرى فى الوطن العربى ، بل قد يسخر بينه وبين نفسه من بعض هذه العاميات ومن هنا يحسن ان تكون نقطة البداية فى تعليم اللغة للاجانب ان يعمد المعلم الى المقارنة بين تراكيب العربية وتراكيب لغة هذا الاجنبى ومن هنا يصبح تعليم العربية للاجانب عملا تخصصيا لا يقوم بالتعليم فيه الا من يحسن لغة المتعلم فاذا لم تكن لغة الاجنبى مشهورة او لم يوجد من يعرفها

فليقع الاختيار للمقارنة على لغة عالمية مشهورة يحسنها المعلم والمتعلم جميعا .

6 ــ جهود التطوير وتنسيقها :

لا شك ان الرغبة فى تطوير اللغة العربية رغبة حقيقية لدى العرب ، ولكن هذه الرغبة كالكثير غيرها من الآمال القومية يقوم دون تحقيقها توزيع الجهود العربية بسبب المبالغة فى الولاء الاقليمى . ففى الوطن العربى دول مستقلة ذات سيادة ولا جدال فى ان من حق كل دولة ان تحرص على هذه السيادة وان يكون لها حدود وعلم ونشيد وطنى وحكومة تسهر على مصالحها ولكن ارتباط المصير العربى يؤكد وجود مجالات قومية لا تهم دولة عربية بمفردها وانما تهم العرب جميعا ويتوقف عليها وجودهم ــ والحفاظ على اللغة العربية فى مقدمة هذه المجالات القومية لان اللغة العربية هى المبرر الوحيد للقول ان هناك امة عربية مستمرة فى التاريخ وقائمة فى الحاضر . والعجيب ان مناط الوحدة فى هذه الامة يتعرض اليوم برغبة التطوير الى ان يصبح سبب الفرقة والتمزق . فلقد دعت الغيرة على هيبة الدولة فى طائفة من البلاد العربية ان تستقل كل دولة بانشاء مجمع يسمى اللغوى تارة والعلمى تارة اخرى ويسعى الى تطوير اللغة على طريقته التى يختطها فى حقل لغة الحضارة او لغة العلم وكأن لكل دولة عربية لغتها العربية الخاصة . ولا بد فى هذه الحال ان يصل كل مجمع الى طائفة من الالفاظ مختلفة عما وصل اليه المجمع الآخر ويكون اتجاه تطوير اللغة الى التفريق والتمزيق لا الى الضم والتوحيد .

ومثل ذلك يقال عن الجامعات فى الوطن العربى . ولقد سبق ان ذكرنا كيف يخترع الاساتذة مصطلحاتهم الخاصة فى المواد الحديثة حتى يحدث انفصام فكرى فى الكلية الواحدة حين يكون استاذان مكلفين بالتدريس لفرقة واحدة ولمادة واحدة فيتوزعان طلبة هذه الفرقة ويستعمل كل منهما مصطلحه الذى ارتضاه فيتحدث طلبة احدهما لغة غير التى يتحدث بها طلبة الآخر . فاذا حدث هذا فى كلية واحدة فكيف تكون الحال على رقعة الوطن العربى كله ؟ اننا اذا سمحنا للامور ان تجرى هذا المجرى قدمنا الحجة الدامغة التى يواجهنا بها دعاة العجمة فى التعليم الجامعى . سيقول هؤلاء ان المصطلح فى اللغات الاجنبية التى نستعملها فى الجامعات واحد وهو بهذا صالح لانشاء وحدة فكرية فى العلم هى اولى بالاعتبار عندنا من استعمال اللغة العربية . فهل تريدون للعلم فى الجامعات تعريبا فوضويا يقضى على هذه الوحدة الفكرية فى العلم ؟ لقد كان السلف من علمائنا حريصين على توحيد لغتهم العلمية واستطاعوا بهذا ان يحافظوا على وحدة الفكر حتى كان من اليسير ان يتعلم احدهم فى اقليم عربى ويتولى التدريس فى اقليم آخر ويلى القضاء فى اقليم ثالث ، يفعل ذلك لا عن طريق الاعارة او الندب او التعاقد وانما يفعله فى حدود وطنه الكبير شرق برحلته او غرب . وكان من اليسير على الطالب فى الاندلس ان يفهم لغة البيرونى التى كتبها فى الهند ولغة ابن سينا التى كتبها فيما وراء النهر . فكيف يستقيم لنا مع هذا التاريخ ان نضرب مثل الطالبين فى الكلية الواحدة وقد ذكرنا ذلك منذ قليل .

ومثل ذلك يقال عن الجمعيات اللغوية المبعثرة فى بلادنا العربية ؛ ان لنا جمعية لغوية فى مصر شرفنى بأن اكون اول رئيس لها واعلم ان بالجزائر جمعية اخرى وهناك جمعيات فى اماكن اخرى فى بلاد العرب. ومع ذلك لم تلتق واحدة من هذه الجمعيات بالاخرى فتوحد معها لغتها . ان هناك اختلافا بيننا وبين زملائنا الجزائريين فى العنوان العام للعلوم التى نشتغل بها وهى ما يسمونه فى الغرب Linguistics فنحن نسميها علم اللغة ويسميها اخوتنا الجزائريون اللسانيات . فاذا لم نتفق على العنوان فكيف بالتفاصيل .

7 ــ تنسيق جهود التطوير :

لقد اشرنا من قبل الى حق كل دولة عربية فى ان تستقل سياسيا وان يكون لها علم ونشيد ورقعة جغرافية واذاعة الخ . (ولست ادافع هنا عن اية صورة من صور الوحدة السياسية بين الدول العربية، ولكن الوحدة العربية وحد الثقافة واللغة) . ووحدة اللغة قائمة فعلا بين العرب حتى يرث الله الارض ومن عليها ووحدة الثقافة امل ارى العرب يحرصون عليه جميعا وهذا المؤتمر واحدة من الادلة على صدق هذه الدعوى ولا تستطيع الامة العربية ان تفرط او تفكر فى التفريط فى هذه الوحدة الثقافية الا ان تكون ساعية الى حتفها وفنائها كأمة لان البديل عن الوحدة الثقافية الحاضرة ان تتعدد الثقافات بتعدد الدول العربية . وهذه النهاية المشئومة يمكن التردى اليها عن غير عمد اذا سمحنا لجهود التطوير ان تتشعب لان التطوير تغيير والتغيير اذا لم تتحد فلسفته كان تشعبا وتمزقا.

ومعنى ذلك ان كل تطوير فى حقل اللغة العربية لا بد للعرب من ان يجتمعوا له على فلسفة واحدة لان ذلك شرط من شروط ترابط هذه الامة ترابطا ثقافيا ، بل انه شرط من شروط وجود هذه الامة وجودا ماديا .

ولكننا نلاحظ ان كل دولة تخطط لنفسها فى حقل اللغة والثقافة وهذا هو النذير للعرب بين يدى عذاب شديد . فما طريق الخلاص ؟ طريق الخلاص فى رايى ان توضع جميع الجهود المتجهة الى تطوير اللغة فى يد الجامعة العربية لان هذه الجامعة تستطيع ان تؤدى اجل الخدمات للامة العربية فى هذا المجال ويسجل لها التاريخ ان الجامعة العربية وجدت رسالتها الحقيقية فى حقل الثقافة فوحدت العرب عن هذا الطريق .

فليكن هناك اتحاد للمجامع العربية يلتقى فى مؤتمر سنوى لتنسيق جهود المجامع والعمل على توقى التشعب فى هذه الجهود وليكن اتحاد الجامعات العربية مؤسسة ثقافية لا ادارية لان انشاء اتحاد لادارات الجامعات لا يقدم للعرب شيئا عظيم الخطر ولان سياسات الجامعات كسياسات الدول العربية نفسها يصعب ان تلتقى . وليكن هناك اتحاد للجمعيات اللغوية فى البلاد العربية يعمل على ربط هذه الجمعيات وتنسيق جهودها . ويمكن لهذه الجمعيات تحت راية الاتحاد ان تؤدى اجل الخدمات فى تأصيل الدراسات اللغوية الحديثة فى الوطن العربى بمصطلحات موحدة . وتشرف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على كل هذه الاتحادات وتعقد لها المؤتمرات وتهيىء لها فرص الاتصال بالهيئات الدولية المختلفة . هذا هو الحل الوحيد الممكن فى ظل الفوضى الثقافية الضاربة الاطناب فى البلاد العربية . وعلينا ان نضع الخطط اللازمة لوضع هذا الحل موضع التنفيذ . وكل نواحى القصور التى ذكرتها فى هذه المقالة منسوبة الى جهود تطوير اللغة يمكن ان تعالج تحت راية الجامعة العربية وفى نطاق هذا التنسيق المقترح ، يصدق ذلك على القواعد كما يصدق على المعجم والاسلوب والمصطلح والتعليم والكتابة ووسائل النشر .

8 ــ نظام الكتابة وتطويرها :

من القواعد المقررة فى علم اللغة الحديث ان افضل النظم الكتابية ما توافرت له الشروط الآتية :

ا ــ ان يمثل النظام الكتابى النظام الصوتى للغة بمعنى ان الوحدات الصوتية (الحروف Phonemes هى التى يرمز لها فى النظام الكتابى ولا يرمز للاصوات Sounds التى تندرج تحت كل حرف لان الرمز الى الاصوات الجزئية انما يكون فى الكتابة الصوتية التحليلية لا فى النظام الكتابى لاستعمال اللغة .

ب ــ ان تقوم العلاقات بين الرموز والوحدات الصوتية بواقع رمز واحد لكل وحدة صوتية فلا يستعمل رمز مركب Diagraph للوحدة الصوتية الواحدة ولا يستعمل رمز كتابى مفرد لصوت مركب Diaphone ولا يستعمل رمز معين للدلالة على وحدة صوتية مرة ووحدة ثانية مرة اخرى .

ج ــ ان تكون الرموز الكتابية بسيطة الصورة قدر الامكان بحيث لا يصعب كتابتها ويتصل بذلك ضرورة الاقلال من العلامات الاضافية فى الرمز Diacritical marks بل يحسن اسقاط هذه العلامات تماما .

د ــ ان تتساوى الوحدات الصوتية فى ضرورة تمثيلها برموز كتابية فلا يعنى النظام الكتابى ببعضها اكثر مما يعنى بالبعض الآخر .

وسنرى فيما يلى مدى تحقق هذه الشروط فى الكتابة العربية :

ا ــ الشرط الاول :

لا شك ان الكتابة العربية مستوفاة من وجهة نظر هذا الشرط فان رموز هذه الكتابة تعنى بالحروف وتقف عن الاصوات المفردة ودليل ذلك ان تعداد اصوات النون فى اللغة العربية لم يغر النظام الكتابى بتعديد رموز النون فنحن نعلم ان من اصوات النون ما ينطق بالشفة السفلى مع الاسنان العليا فى « ينفع » ومنها ما يخرج فيه اللسان كما فى « ينظر » ومنها ما ينطق فى مغارز الاسنان كما فى ينطق ومنها ما ينطق فى اللثة كما فى انا او فى نطع الضار كما فى ينشأ او فى مؤخر سقف الفم (الطبق) كما فى « ينكر » او فى اللهاة كما فى « ينقل » . ومع ذلك عنى النظام الكتابى بالحرف وعمومه دون الاصوات فى خصوصها ويقال مثل ذلك عن الصحاح الثمانية والعشرين والحركات الثلاث والمدود الثلاثة . وتصارى ما نلاحظه هنا ان السكون وهو سلب الحركة كان يكفى فى تمثيله الا تكتب الحركة ولكن عدم اطراد كتابة الحركات فى الاستعمال علق ظاهرة الوقف بكتابة السكون وهذا عذر نحوى عن مخالفة تتعلق بالصلة بين النظام الحرفى Phonological

والكتابي Alphabetical ان اللغات الغربية الحديثة لتحسد اللغة العربية على هذه الدقة فى الكتابة ولا يخفى علماء اللغة فى الغرب اعجابهم بالكتابة العربية حين يوازنون بينها وبين الكتابة الانجليزية او الفرنسية فى مجال هذا الشرط الاول .

ب ــ الشرط الثانى :

ليس فى الرموز الكتابية رمز مركب للدلالة على حرف مفرد كالذى نراه فى الانجليزية مثل ch او gh او gh او ough او فى الفرنسية مثل eau او غير ذلك وليس فى اللغة العربية رمز واحد يدل على حرفين الا ما تشير اليه علامة التشديد من تطويل الاعتماد فى نطق الحرف فهى بهذه المثابة اشبه بأن تكون علامة مد ، ولكنه مد من نوع خاص لا يقود الى اعتبارها رمزا لحرفين مختلفين . ولكن رموز الالف والواو والياء تستعمل لاداء وظائف مختلفة فى الكتابة العربية :

فتكون الالف ركيزة لهمزة القطع وتكون للوصل وتكون زائدة بعد واو الجماعة وتكون للمد العادى .

اما الواو فتكون ركيزة للهمزة وتكون للمد وللزيادة كما فى عمرو وتكون صحيحة كما فى وجد .

واما الياء فتكون صحيحة كما فى يضرب ومدا كما فى كريم ورمزا للالف اليائية كما فى رمى وركيزة للهمزة كبئر ، اضف الى ذلك ان ما لاحظناه من زيادة الالف والواو يقابله الحذف ايضا فتحذف الالف من لفظة الجلالة وبعض الاسماء الحسنى كالرحمن والاعجمية كاسمعيل وابرهيم والعربية كالحرث وتحذف الواو من اسماء معينة مثل داود . واما ما يسمونه اللام الشمسية فان اللام تكون فيه رمزا لحروف غيرها فتكتب وينطق غيرها ولكن الاعتبارات الصرفية هنا تحتم هذا الاستعمال لان هذا موضع اللام فى نظام اللغة.

ج ــ الشرط الثالث :

يظهر عيب الكتابة العربية بالنسبة لهذه الناحية واضحا جليا وذلك للشبه القائم فى الصورة بين الباء والتاء والثاء والنون والياء فى الاول والوسط كما تتشابه صور الجيم والحاء والخاء وكذلك الدال والذال ثم الراء والزاى ثم السين والشين ثم الصد والضاد ثم الطاء والظاء ثم الفاء والقاف فى الاول والوسط . ولقد كان الشبه بين هذه المجموعات سببا فى الكثير من التصحيف فى الماضى حتى تصدى لحل هذه المشكلة ابو الاسود ثم الخليل . ولقد كان الحل الذى تقدم به هذان العالمان الفاضلان عبيا جدودا من العيوب الكتابية وهو الاستعانة بالعلامات الاضافية للتفريق بين الصور بواسطة النقط والخطوط تضاف الى صور الحروف ولا تكتب معها على السطر نفسه . اما النقط فقد تحولت من علامات للحركات الى علامات اضافية للتفريق بين الحروف فى الصورة وبذلك بقيت فى الكتابة واصبح لا غنى عنها باعتبارها قرائن على المعنى . واما الخطوط المستعملة للدلالة على الحركات فقد اثقلت الكاتبين قديما وحديثا فاطرحوها ولم يكلفوا انفسهم عناء تسجيلها الا حين يكون امامهم نص واجب الضبط كنص القرآن الكريم وكتب مطالعة الاطفال ، واتكلوا فيما عدا ذلك على قرائن السياق نفسه فى تحديد المبنى والمعنى وكان السياق فى الاغلب الاعم من الحالات وافر العطاء فى مجال القرائن المعينة على الوصول الى امن اللبس. ولكن انعدام الرمز للحركات ادى الى كثير من الاخطاء الصرفية والنحوية التى شاعت بين الناس وغطت على الصور الصحيحة لنطق الكلمة ، نلمح ذلك فى كلمات مثل منطقة ــ ثيعه ــ اكفاء ــ دلالة ــ حرفى ــ حصرى ــ المبرد ــ عامر الشعبى ــ ابراهيم النخعى ــ كوكب ــ المشترى ــ الرقة ــ دمشق ــ الخ ، وقديما شاع مثل هذه الاخطاء فصار مقبولا لانه مسموع ومن ذلك البصرى ــ والتغلبى الخ ، اما الاخطاء النحوية فالمشهور منها عدم مراعاة الحركات فى اواخر الكلمات اما بابدالها بحركات اخرى واما بالاعتصام باسكان اواخر الكلمات .

د ــ الشرط الرابع :

اشرنا عند الكلام عن الشرط الثالث الى ان الحركات كانت تمثل فى الكتابة بعلامات اضافية تضاف الى الحروف ولا تكتب فى السياق على السطر كما تكتب الحروف الصحيحة . ولست ادرى كيف ساغ للخليل رحمه الله ان يعنى فى مجالى المعجم والصرف بالحروف الصحيحة ثم يعكس نظره فى العروض فيعنى فى قياس البحور بالحركات والمدود اكثر مما يعنى بالحروف الصحيحة لقد بنى الخليل نظره فى المعجم على الثلاثة الاصول ورأى ان الاشتقاق ينبنى عليها وان وسيلة بنائه الصيغ هى الحركات والمدود فالحرف الصحيح

فى نظره لبنة والحركات والمدود ملاط تلتحم به اللبنة مع اختها وسادت هذه النظرة نفسها فى التصريف ايضا ثم فى النظام الكتابى للغة العربية وهو نظام حافل بالاعتبارات الصرفة . وفى كل ذلك جعلت الحركة ملك يمين للحرف الصحيح ومن هنا صح للناس ان يملوها ويطرحوها فى الكتابة ويعتمدوا بدونها على قرائن السياق كما ذكرنا ، اما فى العروض فان الاعتبارات الايقاعية والموسيقية للشعر حكمت ان تكون الحركات والمدود هى المنوال الذى ينسج به الشعر واصبحت قيمة الحرف الصحيح قيمة الفترة التى يتم فيها انقطاع الحركة الايقاعية وذلك يشبه الفترات الواقعة بين المقاطع الموسيقية . وبذلك اصبحت الحركة فى الشعر وجودا واصبح الحرف الصحيح عدما ، وذلك عكس ما راى الخليل فى الانظمة الثلاثة الاخرى : المعجم والصرف والكتابة . وكان رحمه الله طليعة الطلائع فى علاج النظم الاربعة .

9 ــ تطوير الكتابة :

ان تطوير الكتابة فى الامم يحمل فى طيه من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مالا قبل به لاية امة . والذى يبدو من الناحية النظرية ان الكتابة العربية بحاجة الى اصلاح نواحى عيوبها التى استعرضناها من قبل ولكن اصلاح اى جانب واحد من هذه الجوانب يسبب من الصعوبات ما يسببه اصلاح الكتابة كلها . فمن الناحية الاقتصادية يجبرنا اصلاح الكتابة على اعادة طبع التراث طبقا للنظام الكتابى الجديد . وفى ذلك من التكاليف الاقتصادية ما فيه ومن الناحيتين الاجتماعية والنفسية سيكون الجيل الحاضر من العرب على الاقل جيلا موزعا بين نظامين من انظمة الكتابة نشأ على احدهما والفه واخترع الثانى ولم يالفه . وفى ذلك من المصاعب النفسية والاجتماعية بالنسبة للجيل الحاضر ما يضيف الى قصوره قصورا والى تخلفه تخلفا والى متاعبه النفسية متاعب نفسية اخرى ، لان ترك المالوف من عادات الحياة اصعب ما يكون على النفس . وحسب الجيل الحاضر من المتاعب ان توزعته السياسات والمذاهب الاجتماعية .

واما ما يتعلق بتطوير الكتابة من المصاعب القومية فقد ذكرنا ان الامم كما تربط الثقافة الواحدة بين ابناء الجيل الحاضر من اجيالها يتوقف استمرارها القومى فى التاريخ على مدى ارتباط هذا الجيل الحاضر بالاجيال السالفة . وفى تعديل نظام الكتابة الحاضر ما يقطع بيننا وبين السلف ويمس الشخصية التاريخية للامة العربية فى الصميم . وفى العالم شعوب ارتضت ان تكتب لغاتها برموز لغتنا وارتبطت فى تاريخها الثقافى بتاريخنا وكان هذا الارتباط كسبا للعرب وشارة من شارات الدلالة على ماضيهم العريق ولو غيرنا من نظامنا الكتابى الحاضر فلربما اشرنا بذلك الى هذه الامم ان تتحلل من نظم كتابتها المعتمدة على الرموز العربية . وفى العالم امم تحللت من الرموز العربية فكان ذلك خسارة ثقافية للعرب . وفى العالم الاسلامى امم لم تكتب لغاتها بعد ، وتعمل الكنيسة الغربية والدول الاجنبية الغربية على ان تغريها باصطناع الرموز اللاتينية فى كتابة لغاتها ، وتعتبر ذلك فى اساسه حربا على النفوذ الثقافى العربى .. وقد نجحت هذه المحاولة فى اندونيسيا اولا ثم فى الصومال ثانيا وخسرنا نحن المعركة فى الحالتين ولكن بصيصا باقيا من الامل فى المستقبل لا يزال يخفق فى مهب رياح اليأس فى النفس العربية ولو اجرينا اى تعديل او تطوير جذرى فى نظام الكتابة العربية لانطفأ هذا البصيص الى الابد .

انا اذا اعترف ان للكتابة العربية نواحى قصور واعترف ايضا ان هذه النواحى بحاجة الى تطوير . ولكن الصعوبات تقوم امام هذا التطوير فتردنا الى نظام الكتابة العربية الحاضر وتجعلنا بالحرص على التاريخ والاقتصاد والقومية والتأثير الثقافى حريصين على هذا النظام نفسه مهما كان بحاجة الى الاصلاح . ولكن التطوير يمكن ان يحسن جانب الطباعة فى هذا النظام فكثرة اشكال الحروف الواحد واختلاف احد اشكاله الذى فى البداية عن شكله الذى فى الوسط والشكل الذى فى الآخر واختلاف المفرد عن المركب ومشاكل الحروف المتصلة والمنفصلة وطباعة رموز الحركات الاعرابية وعند ذلك جعلت المطبعة العربية مثقلة بالتعقيدات وجعلت عدد خانات الحروف فى المطبعة كثيرة الى درجة غير معقولة . كما ان الآلات الناسخة العربية Typewriters لا تفى فى الكثير من الاحيان بمطالب ضبط النص وتضيف الى عمل الناسخ مالا يضطر اليه من ينسخ على آلة حروفها الاتينية . فهناك مشكلات الحروف الميتة والحروف المطولة والحروف العالية والسافلة واختلاف اشكال الحرف الواحد على نحو ما اختلفت فى المطبعة العادية . ولا شك ان اصلاح النسخ

والطباعة ممكن ومطلوب لذاته ولا سيما لان اعداء الثقافة العربية فى الامم المتحدة ودوائر المؤسسات فى الغرب توجه هذا النقد الى نظام الطباعة العربية . وكان هذا النقد بالذات هو بعض ما سمعه الصوماليون واستجابوا له فابتعدوا عازفين عن استعمال الكتابة العربية للغتهم بعد ان قامت لجان متخصصة من العرب باختراع نظام كتابى للصومالية مشتق من الرموز العربية وكان معظم الدول العربية بمعزل عن هذه المشكلة التى لم تكن تعنى هذه الدول من قرب او من بعد.

10 ــ تخلف وسائل النشر وتطويرها :

حين ينظر المرء الى المعاهد والمراكز الثقافية الاوربية والامريكية فى الوطن العربى والى ما تقوم به من نشاط فى سبيل نشر لغاتها وجذب الناس الى قراءتها تأخذه الحيرة والحسرة للاوضاع التى تسود سياسة العرب نحو لغتهم . ومن المسلم به ان كل اجنبى يتعلم العربية لا بد ان يكون اكثر قابلية للتعاطف مع العرب من الاجنبى الآخر الذى لم يتعلم العربية . ومن هنا يصبح من الامور التى ينبغى للعرب ان يسعوا الى تحقيقها وان يبذلوا فى سبيلها الغالى والنفيس ان ينشروا لغتهم ليزداد عدد اصدقائهم فى العالم . فما جهود العرب فى هذا المجال ؟

للعرب فيما اعلم معهد عربى واحد فى اسبانيا وبعثة تعليمية فى الصومال ومراكز اسلامية فى لندن وواشنطون فاما المعهد العربى فى اسبانيا والبعثة التعليمية فى الصومال فهما مصريان واما المراكز الاسلامية فهى مشتركة بين طائفة من البلاد الاسلامية عربية وغير عربية . وللعرب سفارات متعددة فى الخارج بتعدد الدول العربية وقد يشتمل بعض هذه السفارات على تمثيل ثقافى وهو قليل ويغلب ان يوجد هذا التمثيل الثقافى فى البلاد التى يدرس فيها الطلاب العرب . وقد يوجد فى بعض السفارات مكاتب اعلامية او صحفية ولكن الاغلب الاعم من السفارات العربية فى الخارج يخلو حتى من هذا المظهر المتواضع من الوجود الثقافى للعرب خارج بلادهم . هذه الصورة القاتمة للنشاط العربى فى سبيل نشر لغة العرب وثقافتهم تبدى الى اى حد تخلف العرب عن ركب الحضارة فى وقت صحت فيه امم وشعوب لم تعرف الحضارة من قبل . واذا صح ان نوصف الحضارة الحديثة بأنها عالمية بعد ان شاركت فيها شعوب غير اوربية وامريكية فانه لا مناص للعرب اذا ارادوا لانفسهم البقاء من ان يشاركوا فى هذه الحضارة فيأخذوا منها ويضيفوا اليها . ولن تكون مشاركة العرب فى الحضارة بشراء احدث ما تنتجه الصناعة العالمية من السيارات الفارهة ولا الاسلحة التقليدية ولا ببناء القصور ولا ارسال الشعور ولا لبس الملابس الضيقة ولا بالكشف عن مفاتن النساء او التألق الابله فى السلوك واصطناع الغريب من العادات . انما تصل الامم الى المستوى الحضارى المطلوب بالمشاركة فى العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة واعطائهما طابعا قوميا خاصا تضم فيه رائحة التراث العربى المجيد . اكرر مرة اخرى انه لا بد من المشاركة فى العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة وتأصيل مصطلحاتهما فى لغة العرب وامدادهما بتيارات فنية من الفكر العربى المعاصر . لم يفعل العرب ذلك حتى الآن . وليست لهم وكالات ثقافية فى العالم الخارجى تعينهم على الوصول الى هذه الغاية .

وليس للعرب تبادل ثقافى يعتمد به سواء فى حقل الاساتذة او حقل الطلاب او حقل المطبوعات او الافلام او الصحف او الاغانى او الفنون بصفة عامة . فاما فى حقل الاساتذة فاننا نستقبل الكثيرين من الاساتذة الاجانب فى جامعاتنا ونفسح لهم مجال المحاضرة فيها حتى اذا جاء الدور علينا اجفل اساتذتنا من رد الزيارة لاسباب كثيرة بعضها فنى وبعضها مادى لا داعى فى الخوض فيها الآن . والذى يحدث ان الاساتذة العرب ربما ذهب احدهم الى بلد غربى فاستهواه الجو العلمى النشيط فى هذا البلد او استهوته الحياة فى مجتمع متقدم فقرر ان يبقى فى ذلك البلد فردا آبقا لا يستطيع بمفرده ان يدعو لاى شئ عربى . فما استفاد بلده العربى من جهوده حاضرا وما استفاد منه نازحا . اما فى مجال الطلاب فاننى الاحظ مع الاسف قلة الطلاب الاجانب فى الجامعات العربية كما الاحظ مع الفرحة كثرة الطلاب العرب فى الجامعات الاجنبية وانما يقل عدد الطلاب الاجانب فى بلادنا بسبب ضعف التبادل الثقافى بيننا وبين الامم الاخرى . فنحن نأخذ من الامم ولا نعطى مع كثرة ما يمكننا ان نعطيه ونفخر بعطائه ، واما كثرة الطلاب العرب فى الخارج فظاهرة صحة وليست ظاهرة مرض على شرط ان نفيد من هؤلاء المبعوثين دعاية للعرب وثقافتهم فى الخارج واستيرادا للعلم والتكنولوجيا الى الداخل . ولكن بعض نواحى القصور توجد فى هذا المجال ايضا . فهل نختار التخصصات لدراسة طلابنا فى الخارج حسب خطة ؟ وهل يجد

طلابنا ابواب العلم مفتوحة امامهم على مصراعيها فى الخارج ، او تقسم الجامعات فى الخارج دراساتها الى مباح للاجنبى وغير مباح ؟ او هل يحمى كل طلابنا فى الخارج بالضمير العربى او حتى الوطن المحلى ، او تراهم ينساقون مع مفاتن الحضارة فينسون الاوضاع الجزينة التى تركوها وراءهم ؟ افنعد نحن لكل طالب بعثة عائد عملا يقع فى نطاق تخصصه يخدم فيه مجتمعه خدمة الخبير ويستمر فى نموه التخصصى بعد عودته ؟ ان الاجابة عن هذه الاسئلة تروع ضمير كل مخلص لتنمية البيئة العربية وتطوير الثقافة العربية واللغة العربية . ثم مذا عن الكتاب العربى ؟ ما قيمته كمضمون وما جاذبيته كشكل مطبوع مجلد ؟ وما وسائل تسويقه وما فرص انتشاره مع قلة عدد قراء العربية فى الداخل والخارج على السواء (هم يقلون فى الداخل بغلبة الامية ويقلون فى الخارج لعدم انتشار اللغة) ؟ وماذا عن الفيلم العربى تسجيليا كان ام ترفيهيا ؟ ما مستواه الفنى وما الجهود المبذولة لنشره وما مدى الاقتناع بجدواه فى نشر الثقافة واللغة ؟ وما مدى الاستعداد للبذل فى سبيل ترقيته وتحسنه ؟ ومثل ذلك يقال عن الصحف العربية والاغانى العربية والفنون العربية التشكيلية والتعبيرية على حد سواء .

11 ــ تطوير النشر :

هذا مجال آخر ادعو فيه الى ان تكون الجامعة العربية ومنظمتها العربية للتربية والثقافة والعلوم منبرا للعرب فى مشارقهم ومغاربهم ــ ان على العرب ان يعززوا منظمتهم بالخبرات والمال لتقوم عن دولهم فى مجال نشر اللغة العربية والثقافة العربية . فاذا عززنا المنظمة على هذا النحو امكن لها ان تنشئ المعاهد العربية فى البلاد الاجنبية وان تنشئ المراكز الثقافية وان يكون لها نوع من الاشراف على التبادل الثقافى بين بعض العرب وبعض وبين العرب فى عمومهم والدول الاجنبية سواء فى مجال الخبرات الثقافية والاساتذة والطلاب والمطبوعات . ولكل دولة الى جانب هذا النشاط العربى العام ان تبذل جهودها الخاصة فى هذا المجال ، وفى حقل استيفاد الطلبة الاجانب اليها . وترصد المنظمة العربية فى هذه الحالة المنح والجوائز لبحوث مختارة يكتبها كتاب اجانب عن نواح مختارة من الثقافة العربية كما تغرى هؤلاء بترجمة مختارات من التراث الى اللغات الاجنبية .

اما الكتاب العربى ونشره فان المنظمة تستطيع ايضا ان تقوم بدورها فى سبيله بواسطة انشاء صندوق عربى مشترك يسمى صندوق الكتاب يتولى النشر والتوزيع والدعوة والاهداء والمبادلة . كما ينشأ الى جانب ذلك نظام آخر للارتفاع بالقلم العربى وطابعه الفنى والعناية بالافلام التسجيلية التى تدعو للثقافة العربية كالموسيقى والاغنية وتعمل على تطوير الموسيقى العربية والاغنية العربية باعتبارهما مظهرين من مظاهر الثقافة العربية . واذا كان لى ان اقترح فى هذا الحقل الذى لست خبيرا به ، فاننى ادعو الى ان يكون تطوير الموسيقى العربية فى اتجاه الغاء ربع النغمة والابقاء على نصفها تمشيا مع الذوق العالمى فى الموسيقى وهو ذوق يرى فى الموسيقى المشتملة على الارباع نوعا من الانين لا يرقى الى مستوى الاعمال الفنية فى العالم . ولهذا الربع ان يبقى فى الاغانى الشعبية باعتباره تراثا ينبغى ان تحافظ على ذكراه .

وينبغى ان تكون للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم صحبة قوية الدعم من الناحية المالية تتكلم بلسان العرب جميعا وتشتمل على مقالات وبحوث واخبار . وهذه الصحيفة تتناول وجهة النظر العربية فى المشكلات المطروحة دون ان تنحاز الى جانب دولة عربية بعينها ويكون لهذه الصحيفة نسخ مترجمة الى اللغات الحديثة توزع من مكاتب الجامعة وتقرأ فى المعاهد والمراكز الثقافية العربية فى الخارج .

وجملة ما احب ان اؤكده فى مجال تنسيق التطوير ان يتفق العرب على ان يجعلوا من الجامعة العربية ووكالتها المتخصصة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منبرا مشتركا لهم فى حقل الثقافة وان يكلوا الى الجامعة العربية بعد تدعيمها كل جهد فى مجال نشر اللغة العربية والثقافة العربية .

جوانبُ الدّقة والغموض في المصطلح العلمي العربي الحديث

المهندس وحيد السمان
- دمشق -

ليست التجربة التى تمر بها الامة العربية اليوم ، من اقدامها على وضع مصطلحات لعدد ضخم جدا من الالفاظ الحضارية الحديثة من علمية وتقنية واجتماعية وفلسفية وادبية ، اول تجربة لها من هذا النوع . فقد مرت بتجربة مماثلة لها فى بدء تحضرها وانتقالها من عيشة البادية التى كانت فيها منغلقة على نفسها تعيش فى جزيرتها ، وليس لها بما جاورها من الامم المتحضرة الا صلات ضعيفة جدا ، الى حياة جديدة تنشر فيها الدعوة الاسلامية وتفتح البلاد المتحضرة ذوات المدنيات القديمة وتستوطن فيها وتحكمها ، وتجعل اللغة العربية قادرة على اداء هذا الدور الجديد للامة العربية

لقد نجحت الدولة الاسلامية اذ ذاك فى مهمتها كما نعتقد ان البلاد العربية ستنجح فى مهمتها الجديدة الآن لما للغة العربية من امكانيات واسعة تفوق امكانيات اكثر اللغات الاخرى .

وقد ذكر المرحوم الاستاذ احمد امين ذلك فى كتاب ضحى الاسلام فقال : (1) .

« اللغة العربية ارقى اللغات السامية ، كما يقرر دارسو تلك اللغات ، ولا تعادلها الآرامية ولا العبرية ولا غيرهما من هذا الفرع السامى . وهى كذلك من ارقى لغات العالم فهى — تمتاز حتى عن اللغات الآرية — بكثرة مرونتها ، وسعة اشتقاقها . فاذا قيس ما يشتق من كلمة عربية من صيغ متعددة ، لكل صيغة دلالة على معنى خاص ، ما يقابلها من كلمة افرنجية وما يشتق منها كانت اللغة العربية فى ذلك — غالبا — اوفر واغنى . فمثلا اشتقوا من الضرب : ضرب يضرب — اضرب ، وضارب ومضروب . وسموا آلة الضرب مضربا وقالوا ضاربه اى جالده ، وتضرب الشيء واضطرب : تحرك وماج ، وحديث مضطرب وامر مضطرب . والضريبة ما ضربته بالسيف . وضاربه فى المال من المضاربة (وهى ان تعطى انسانا من مالك

(1) ضحى الاسلام الجزء الاول ص 289 — 290.

ما يتجر فيه على ان يكون له سهم معلوم من الربح) واشتقوا منه مضاربا ومضاربا الخ » ..

هذا الى المعانى المجازية التى يستعملون فيها الكلمة فيقولون : ضرب الدراهم والدنانير (اى صكها) وضرب فى الارض اذا سار فيها مسافرا ، وضربت الطير ذهبت . وضرب فى سبيل الله : نهض ، وضرب على يده : كفه عن الشىء ومنعه ، واضرب عن العمل : كف واضرب البرد النبات وضربه اذا اشتد عليه البرد حتى يبس .

والضريبة الصوف او القطن يضرب بالمطرقة . والضريب من اللبن : الذى يحلب من عدة لقاح فى اناء واحد فيضرب بعضه ببعض . ثم اخذوا منه : فلان ضرب فلان اى نظيره (والضرباء : الامثال والنظراء) والضرائب الاشكال ، وضرب المثل ذكره وقوله الخ ..

هذا قليل من كثير مما يدل على غنى اللغة العربية غنى تاما فى الاشتقاق والمجاز ، قل ان تجاريها فيهما لغة اخرى ، وكذلك ما لها من طرق متعددة فى القلب والابدال » .

نجمت ازمة المصطلحات الحديثة عن ان العرب كانوا نائمين ايام النهضة الاوربية وتوسع العلوم فلم يساهموا فى تقدم العلم المطرد ولم يطلعوا حتى ولا على تقدمه . ولما بدات يقظتهم فى اواخر القرن الماضى واوائل هذا القرن الفوا انفسهم امام علوم كثيرة واسعة لها من المصطلحات عدد كبير ورأوا انه لا بد لهم من ان يضعوا لهذه المصطلحات ما يقابلها بالعربية .

المصطلح العلمى العربى الحديث :

شرع العرب فى وضع المصطلحات العلمية الحديثة فى اواخر القرن الماضى وقد تجمعت الى الآن حصيلة كبيرة من هذه المصطلحات ولكنها لا تزال غير وافية بالحاجة وتقل كثيرا عن متطلبات تقدم العلوم والتقنيات.

ومن اهم اسباب شيوع المصطلح العلمى سهولته واصابته للمعنى الذى وضع له وقدمه واستعماله فى كتب التعليم المدرسية ولا سيما الابتدائية والثانوية منها ، فهو يصل عندئذ الى اسماع والى افهام الملايين من الاحداث فيتلقونه وكأنه شىء نهائى قد بت فى امره وقبلته الامة وتبنته ، فليس عند الاحداث عندئذ اى اعتراض عليه او انتقاد له .

فعند ما يسمع الاحداث اسماء الدبابة والطيارة والغواصة والمدفع والسيارة والقطار والتيار الكهربائى والاذاعة ، الى . يفهمون لها مدلولات ثابتة معينة لا اعتراض عليها ولا مراء فيها . وهذه هى الصورة المثالية لما ينبغى ان تكون عليه جميع المصطلحات العلمية حتى ولو كانت تعنى مدلولات عويصة او تتعلق بنواح صعبة من نواحى العلم والتقنية ليست فى مستوى الاحداث ولا عامة الشعب . مثل : الذرة والنواة والاشعة الكونية وما الى ذلك من مصطلحات هندسية او طبية او زراعية او حقوقية او ادارية الخ ..

مضى على وضعها واستعمالها زمن طويل واثبتها الاستعمال وصقلتها الالسن على امتداد السنين ، ولا سيما فى قطر كالقطر السورى درج منذ امد مديد على الاعتماد على اللغة العربية فى التدريس الجامعى بأكمله.

يعتمد فى وضع المصطلحات العلمية العربية على جميع الوسائل التى نمت بها اللغة العربية نفسها ، وهى : الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب .

1 ــ **الاشتقاق** : لقد اشتقت اسماء الفاعل والمفعول به والزمان والمكان والآلة والادوات والاعضاء والامراض والآفات والادواء والصفة المشبهة واسم التفضيل ، كلها من المصدر ويدل الحساب على انه يمكن اشتقاق اكثر من مائتى لفظ من كل مصدر .

فمن امثلة الاشتقاق ما يلى :

للامراض : ما كان على وزن فعل مثل : ارق ، وجع، الم ، بخر ، بكم ، صلع ، حصر ، الخ ..

وما كان على وزن فعال مثل : صداع ، اكال ، بوال، جذام ، حكاك ، دوار ، زكام ، رعاف ..

واما اسماء الآلات فكثيرة منها :

فاعل وفاعلة مثل : فاصل ، حاجز ، لاصق ، كاسحة ، قاطعة ، فارزة .

فعال وفعالة مثل : سحاب ، وطراد ، وزلاق ، وكسارة ، وقلابة ، وحمالة .

مفعال ومفعل ومفعلة مثل : مفتاح ومنشار ومحراث ومزراب ومحراك ومعلاق ومجذاف ومصفاة، ومبرد ومغزل ومنجل ومقود ومكنسة ومطرقة وملعقة ومدخنة ومحبرة .

وهنالك اوزان اخرى لاسم الآلة قليلة الاستعمال مثل فعول : قدوم وفاعول : ناقور وساطور ، الخ .. وفعال : لجام ، حزام ، سوار ، ستار ، سنان .

واما اسماء الزمان والمكان فقد اشتقت على وزنى مفعل ومفعل مثل : مكتب ، ملعب ، مخبز ، ملهى ، مثوى ، ومطلع ، مشرق ، مغرب ، مسجد ، منبت ، مفرق ، مجلس ، محبس ، مضرب ، مورد ، موضع .

وكذلك على وزن مفعلة ومفعلة مثل : معبرة ، مدرجة ، مقبرة ، ويقال مشرقة ومشربة .. الى آخر ما هنالك من الاوزان .

ولست ارمى الى الاستقصاء وانما اكتفى بهذه الامثلة للاشارة الى مدى خصب الاشتقاق فى توليد المصطلحات العلمية .

وقد استفيد من الاشتقاق فى وضع عدد كبير من المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة ، فجاء فى فرع الكهرباء مثلا :

محولة	Transformateur	مقومة	Redresseur
منوبة	Alternateur	مبدلة	Commutateur
مركمة	Accumulateur	مقطعة	Interrupteur
مولدة	Générateur	مجمعه	Collecteur
مكثفة	Condensateur	مجمعة	Collimateur

وجاء فى فرع الضوء على وزن مفعل :

محلل	Analyseur	مظهر	Révélateur
مشتت او ناثر	Diffuseur	مكثف	Condenseur
محرك	Moteur	مكافئ	Compensateur

وهنالك اوزان كثيرة يمكن الاستعانة بها لتسمية الآلات والادوات والاجهزة على انه ينبغي الا نقيد انفسنا بقواعد نلتزم بها ونحن غير واثقين بانها قواعد عامة مثال ذلك ما وضعه المجمع اللغوى فى القاهرة لاجهزة الكشف والتسجيل والقياس فقال : « نستعمل صيغة مفاعل للكلمات المنتهية بالكاسعة Scope ومفعلة للمنتهية بـ Mètre ومفعل للمنتهية بـ Graphe وقضى المجمع بان تلتزم هذه الصيغ فلا توضع الواحدة مكان الثانية . فالاولى للكشف والثانية للقياس والثالثة للرسم .

ولكننا مع ذلك نقول : ميزان ومكيال ومثقال ومعيار لاجهزة قياس الوزن والكيل والثقل الخ .. وهى ليست اجهزة كشف فوجب اذن اذا اتبعنا هذه القواعد ان نسميها ميزن ومكيل ومثقل ومعير ، وهى تدعى باسمائها الاولى منذ قديم الزمان .

ثم ان علينا عند وضع مصطلحاتنا العلمية الا نبتعد بلغتنا عن اساليب اللغات الاخرى ما دام ثمة امكان للتقارب لا يخل باصول اللغة ، وهذا يسهل على المتعلم العربى ان يربط بين المصطلحاب العلمية العربية وبين المصطلحات الاجنبية .

فاجهزة القياس العلمية قد جعلت اسماؤها مركبة من قسمين : القسم الاول هو اسم الظاهرة التى يراد تقديرها كدرجة الحرارة او الضغط او القوة الخ .. وفى الجملة المترتبة خاصة ، حيث سميت الوحدات القياسية باسماء العلماء تخليدا لذكراهم يكون القسم الاول من اسم الجهاز هو اسم الوحدة : امبير ، فولت ، واط الخ.. واما الكاسعة فهى كلمة متر ، وقد اطلق على علم القياسات اسم Métrologie

مثال ذلك اسماء الاجهزة الآتية :

مقياس غلفانى	Galvanomètre	مقياس الطور	Phasemètre
مقياس الامبير	Ampèremètre	مقياس الضغط	Manomètre
مقياس الفولت	Voltmètre	مقياس التدفق	Fluxmètre
مقياس الواط	Wattmètre	مقياس التسارع	Accéléromètre

فالحكمة تقضى بان تراعى هذه القاعدة فى التسمية المركبة لانها قابلة للتطبيق على جميع اجهزة القياس الموجودة الآن وعلى ما سيخترع منها فى المستقبل .

وكذلك الامر فيما يتعلق باجهزة الكشف واجهزة الرسم والتسجيل ، فنقول : كاشف وراسم او مسجل فتصبح اسماء هذه الاجهزة كما يلى :

كاشف الطيف	Spectroscope	كاشف الاشعاع	Radioscope
كاشف الاهتزاز	Oscilloscope	كاشف الكهربية	Electroscope

ونقول :

مسجل الطيف او مصور الطيف	Spectrographe
مسجل الاشعاع	Radiographe
مسجل الاهتزاز او راسم الاشعاع	Oscillographe

ونقـــول :

مقياس الطيف Spectromètre مقياس الاشعاع Radiomètre

مقياس الاهتزاز Oscillomètre مقياس الكهربية Electromètre

فنكون بذلك قد ضمنا الدقة فى الدلالة والتمييز بين مختلف الاجهزة ، كما نكون قد جعلنا اسماء الاجهـــزة معبرة عن مدلولاتها كل الافصاح وراعينا وضع قواعد عامة يمكن تطبيقها على كل ما سيظهر فى المستقبل من اجهـــزة .

ولو اننا التزمنا صيغة مفعال او مفعل لاضطررنا ان نقول : مقيار ومقلاط ومواط ولا ادرى ما نسمى بـــه مقياس غلفانى او مقياس الامبير . ثم ان اوزان مفعال ومفعل ومفعلة ليس فيها ما يدل على التخصص بالكشف والقياس والرسم او انها تدل على هذه المعانى ، وانما هى قد انتقيت اعتباطا . لذلك فمـــن العسير ان يحفظ الانسان مدلولاتها وان لا يخطئ فيها .

فنرى اذن ان باب الاشتقاق واسع جدا وفيه مجال لعدد كبير جدا من المصطلحات الموجودة الآن والتـــى ستوضع فى المستقبل .

2 ــ **الاستعانة بالمجاز** لوضع المصطلحات العلمية ، او تحوير المعنى اللغوى القديم للكلمة العربية وتضمينها المعنى العلمى الجديد :

يرد بحث المجاز فى علم البيان . وتقول كتب البيان ان المجاز هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة المعنى السابق . مثل كلمـــة **الدرر** المستعملة بمعنى الكلمات الفصيحة فى قولك : **فلان يتكلم بالدرر** ، فانها مستعملة فى غير ما وضعت له ، اذ قد وضعت فى الاصل للآلئ الحقيقية ثـم نقلت الى الكلمات الفصيحة لعلاقة المشابهة بينهما فى الحسن . والذى يمنع من ارادة المعنى الحقيقى قرينة **يتكلم** .

وهذا النقل فى الالفاظ من معانيها الاصلية الى معان علمية ، وسيلة ناجحة خصبة من وسائل تنمية اللغـــة وفى جعلها صالحة لاستيعاب العلوم الحديثة .

وقد اعتمد العرب منذ العصر الاسلامى الاول على المجاز ، فتوسعوا فى معانى الالفاظ التى كانت معروفة فى الجاهلية ونقلوا كثيرا منها من معنـــاه الاصلى الى معنى علمى جديد اقتضاه التغير الجذرى الذى طرا على حياتهم . لذلك فان كثيرا من الالفاظ تغيرت معانيها فى الاسلام : كأن يكون المعنى عاما فى الجاهلية وخصص فى الاسلام : كالصلاة والزكاة والحج والبيع .. ثم ظهرت الالفاظ العلمية كالنحو والصرف والعروض والاعراب والادغام واسماء بحـــور الشعـــر ، بمعـــان لغويـــة واصطلاحية استعملت مجازا عند ما وضعت فى ايـــام الخلفاء الراشدين والامويين .

قال ابن خالويه : ان لفظ **الجاهليـــة** اسم حـــدث فى الاسلام للزمن الذى كان قبل البعثة **والمنـــافق** اســـم اسلامى لم يعرف فى الجاهلية .

وقال ابن الاعرابى : لم يسمع قط فى كلام الجاهلية ولا فى شعرهم بكلمة فاسق .. الخ (فجر الاسلام ص 53)

ويقـــول الامير مصطفـــى الشهابـــى فى كتابـــه : « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية » صفحة 25 .

جاءت مرحلة ثانية من مراحـــل اغنـــاء العربيـــة بالمصطلحات فى زمن العباسيين عند ما نقلت العلـــوم اليونانية والفارسية والهندية الى العربية واتسع نطاق الترجمة ثم التاليف العلمى . فوضعت اسماء لكثير من الامراض والنباتات والحيـــوان ووضعت مصطلحـــات الفلسفة والمنطق التى ورثناها نحن كانما كانت معروفة منذ ان كان العرب ، وامثالها : الفلسفة والازل والابد والقديم والحديث والعلة والمعلول والوجـــود والعـــدم والصورة والجوهر والعرض والموضوع والكلى والجزئى والقياس والاستنتاج والمقولات واشباهها مـــن الالفاظ العديدة اصبح لها كلها فى الفلسفة والمنطـــق معـــان اصطلاحية محدودة .

وقد استعان العرب حديثا ومنذ بداية هذا القـــرن بالمجاز فوضعوا كثيرا من المصطلحات للمدلولات الحديثة وهى فى الاصل كلمات ذات مدلول قديم مختلف . مثل : البرق للتلغراف والهاتف للتلفـــون والقطـــار للتريـــن والقاطرة والسيارة والدراجة والدبابة والمدفع والمدرعة والباخرة والطرادة والنسافـــة .. الـــخ . وكـــل هذه المصطلحات قد عمت واكتسبت معانيها المفهوم الجديد الذى اريـــد لهـــا .

وتطلع علينا الصحف والمجلات والاذاعات العربيـــة كل يوم بمصطلحات جديدة توضع لحاجات الساعـــة ولمقتضيات الظروف . وفيها الكثير من التوفيق كمـــا ان فيها كثيرا من الخطأ .

3 ــ النحـــت :

ومعناه فى اللغة النشر والقشر والبرى : يقال نحت الخشب والحجارة اذا براها . وورد فى القرآن الكريم : وتنحتون الجبـــال بيوتا .

والمعنى الاصطلاحى للنحت هو انتزاع كلمـــة مـــن كلمتين او اكثر على ان يكون ثمة تناسب فى اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه . وقد كان استعمال النحت فى القديم قليلا فلا يعرف من الالفاظ المنحوتة الا عـــدد صغير محدود مثل : البسملة والحوقلـــة والحمدلـــة والعنعنة والعبشمى والعبقسى وكان بعض علماء اللغة يعدون النحت ضربا من ضروب الاشتقاق . وقد اقـــر مجمع اللغة العربية فى القاهرة جواز النحت عند مـــا تلجئ الضرورة العلمية اليه (الامير مصطفى الشهابى) صفحة 17 .

وقد درج فى الاستعمال الحديث عدد من الكلمـــات المنحوتة مثل : برمائى وآفرو آسيوى .. على انهـــا محـــدودة جـــدا .

وليس ثمة قواعد واضحة للحروف التى تنتزع من كل كلمة لتأليف الكلمة المنحوتة فقد ينحتون من كلمتين كلمة على وزن فعلل ويأخذون من كل كلمة فاءها وعينها ثم ينسبون الى المنحوتة مثل عبشمـــى اى من عبـــد شمس ، وقد استعمل النحت فى المصطلحات الجديدة وخاصة فى العلوم الطبيعية كالحيـــوان والنبـــات وفى الكيمياء وغالى بعضهم فى استعماله .

ومن اهم الذيـــن اعتمـــدوا على النحت فى وضـــع المصطلحات الكيمائية المرحوم الدكتور صـــلاح الديـــن الكواكبى عضو مجمع اللغة العربية فى دمشق فلـــه بحوث مستفيضة جدا فى هذا المضمار : فقال فى مقـــال متسلسل نشره فى مجلة المجمع (المجلد 39 الجزء 3) « لقد دفعتنى الحاجة الملحة الى النحت مثلما فعـــل الغربيون فى مصطلحاتهم العلمية لانى وجدت فيه حلا للمعضلة وتيسيرا لاجتياز العقبات التى تعترض المؤلف والمترجم فى علم من العلـــوم ذلك لمرونتـــه وسهولـــة الاشتقاق والوصف من الكلمة المنحوتة المصقولـــة ، ولانه يجعل المجال واسعا فى ايجاد كلمات لما يقابلهـــا بالافرنجية . (وهنا ابدت لجنة المجلة ملاحظة جاء فيها ان مجمع القاهرة ومجمع بغداد وجميع اساتذة الجامعة فيها لا يلجأون الى النحت الا عند الحاجة القصوى . والمنحوتات عندهم نادرة ، وهم يشترطون فى النحت بحيث الذوق ولا يستغلق فيه المعنى ، ففى هذه الحال يرجحون الكلمتين على الكلمة الواحدة ولا سيما عنـــد ما يكون المصطلح الاعجمى مؤلفا من كلمتين) » .

ثم تابع الدكتور الكواكبى حديثه فيقـــول : « اليكم البرهان فى المصطلحات العلمية التى وضعتها نحتا ، لما يقابلها من الكلمات الافرنجية ، واكثرها الفته الاسماع وشاع استعماله فى البيئات العلمية .

وانا اسرد فيما يلى بعض الامثلة لان الشواهـــد التى ساقها الدكتور الكواكبى كثيرة جدا .

الخلمهة (تحليل خلى) Acétolyse

من (خل ــ اماهة) لذلك العمل الذى يتم فيه تحليل مادة فى حمض الخل . مثال : (خلمهة السلولوز بمزيج خمض الكبريت المركز وبلا ماء حمض الخل) .

الحمضليد (حامض الدهيد). Acide aldéhyle

من (حمض ــ غوليد) للجسم العضوى الذى يحتوى على وظيفة حمض ووظيفة غوليد (حمض الغليوكسيل مثـــلا) .

شمنـــزيـــر Axonge من (شحم ــ خنزير) للمادة الشخصية التى تستخلص بصهر (النســـج الدسمـــة والمتراكمة حول كليتى الخنزير ومن شحمه) .

فحمـــائيـــل Carboxyle من (فحم ــ مائيل) للجذر العضوى الحمضى .

خسفلـــة Décarboxylation من (خسف او طرح ــ فحمله) طرح الفحمائيل من جسم عضوى (يفضل مجمع القاهرة كلمة نزع عوضا عن خسف) .

للمرحوم الدكتور الكواكبى دراسات مستفيضـــة فى هذا الباب شملت الكيمياء بأكملها ولا سيما العضوية منها وكذلك الكيمياء الفيزيائية والطب والبيولوجيا وكلها منشورة فى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .

وفى اعتقادى ان النحت مستثقل على الاغلب وينبغى الا يستعمل الا عند ما تدعو اليه الضرورة ولا سيمـــا عند ترجمة المصطلحات التى هى مركبـــة فى اللغـــات الاجنبيـــة مثـــل Electromagnétique فقالوا : كهرطيسى بدلا من كهربائـــى مغنـــاطيسى و Thermoélectrique كهر حرارى و Photoélectrique كهر ضوئى . وقد وضعت مع زملاء لى بعض الكلمات

المنحوتة مثل الكهر اكده بدلا من الكهرباء الراكدة Electricité statique وكهرحل بدلا من المتحلل بالكهرباء .

واطلقت شخصيا اسم الكهر نافذ على المواد العازلة المنسماة Diélectrique .

واعتقد ان من الانسب استعمال التركيب المزجي عند استئناف الكلمة المنحوتة فنقول الكهربائي — المغناطيسي ، مثلا ، بدلا من الكهرطيسي .

وعلى كل حال فاننا نرى ان في النحت والتركيب المزجي مجالا واسعا جدا لوضع المصطلحات العلمية ولكن ينبغي الا نغالي في استعمالهما لكيلا نقع في التعقيد والاثقال فنجعل مصطلحاتنا عويصة على الفهم او ثقيلة على السمع او النطق كما قالت العرب قديما تكاكأ وافرنقع وخمخم والدردبيس والعقنقل والطلطبيس ،الخ..

4 — التعريب :

تعريب الاسم الاعجمي هو ان تتفوه به العرب على منهاجها : تقول عربته العرب واعربته . وكذلك المعرب هو ما استعملته العرب من الالفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها والمعرب يسمى الدخيل .

واستعمال العرب للالفاظ الاعجمية ودمجها في لسانهم شيء قديم سببه اتصالهم بامم الاخرى ، وحاجتهم الى اسماء تدل على مسميات لا وجود لها في الجزيرة العربية . ولا ضير في التعريب كلما مست الحاجة اليه وكلما تعذر العثور على كلمة قديمة عربية تقابل الكلمة الاعجمية او تعذر ايجاد كلمة عربية تفيد معناها بالوسائل الاخرى المتقدمة . وجميع اللغات تقتبس من بعضها (المصطلحات العلمية للامير مصطفى الشهابي ص 19) .

عمد العرب الى التعريب منذ الجاهلية فعربوا عن الفارسية : لابريق والسندس والدولاب والدسكرة والكمك والسكباج والسميد والجلاب والجلنار والديباج والنرجس الخ .. وعربوا عن الهندية الزنجبيل والفلفل والشطرنج والصندل والكافور والمسك والقرنفل .. وعن اليونانية القسطاس والفردوس والترياق (الشهابي ص 21) .

وفي صدر الاسلام اضطر العرب الى تعريب عدد كبير من الالفاظ ، دفعهم الى ذلك احتياجهم اليها في حياتهم المتحضرة فأخذوا من الفارسية الكوز والجرة والابريق والطست والخوان والطبق والقصعة والخز والياقوت والفيروز والبلور والقرفة والنسرين والسوس والعنبر والبستان والارجوان والقرمز والسراويل والتنور والجوز والميزان والزئبق والباشق والطيلسان والمغنطيس والمارستان والصك والصولجان والفرسخ والبند والزمرد والآجر والجوهر الخ ..

هذا في بداية عهدهم بالحضارة ، ثم انهم شرعوا بنقل علوم اليونان والفرس والهند عربوا عددا كبيرا من المصطلحات بقيت الى ايامنا هذه مثل : دغماطيقيين Dogmatiques
وفسيولوغيا وبطلوغيا Pathologie وكانوا في بداية الامر يتبعون هذه المصطلحات بشرح معناها الى ان تؤلف الكلمة في العربية ويتحدد مدلولها .

من هنا اتتنا هذه المصطلحات العلمية الكثيرة التي نستعملها اليوم وكأنها خلقت مع العربية مثل الفلسفة والفيلسوف والسفسطة والجغرافية والكيمياء .. وعرب العرب كلمات حضارية كثيرة يقول عنها المرحوم احمد امين (ضحى الاسلام 1 — 293) خرجت اللغة العربية من هذا المأزق سليمة قوية واسعة ، هي لغة الدين ولغة العلم والفلسفة ولغة الادب . واصطحلت بجانبها كل لغات البلاد المفتوحة .

فاللغة السريانية التي ترجمت اليها الكتب اليونانية، اخذت تتدهور بعد ان نقل ما فيها الى اللغة العربية . والفرس في ذلك العصر اصبحت لغتهم العلمية والادبية هي اللغة العربية ، ان الفوا او شعروا او كتبوا فبا العربية . وحياة اللغة الفارسية انما كانت عند التكلم العادي او في اوساط الديانة المجوسية .

وكذلك اللغات الاخرى من رومانية وقبطية في الشام ومصر . وكسبت العربية من ذلك انها اصبحت في تاليفها وعلومها نتاج كل هذه الامم ، تلبس كل افكارهم وتعبر عن قرائحهم . وكسبوا منها ما لها من ثقافة اسلامية وادبية » .

في التعريب اذن مجال واسع جدا لوضع المصطلحات على ان لا يجري التعريب كيفما اتفق وانما باتباع قواعد كالتي اتبعها العرب الاوائل عند التعريب ومن جملة هذه القواعد : الا يلجأ الى التعريب الا عند ما لا تفلح الطرائق الاخرى في وضع المصطلحات ، وان

يعطى للكلمة المعربة صيغة عربية تمكنها من الانضمام الى اخواتها الكلمات العربية الاخرى حتى تنطبق عليها قواعد النحو والصرف .

وقد وضع مجمع اللغة العربية فى القاهرة قواعد لضبط التعريب ينبغى اتباعها ضمانا للتوحيد فى جميع البلاد العربية وحفاظا على الاصول التى اتبعها العرب عند ما بدأوا بالتعريب .

وباب التعريب بفضل اتساعه يسهل لنا وضع المصطلحات فى الحالات التى تخفق فيها الطرق الاخرى كما انه يمكننا من كتابة اسماء الاعلام الاعجمية التى ترد فى العلوم واسماء الوحدات القياسية التى هى اسماء علماء واسماء الاجزاء العنصرية التى ترد فى بحوث الذرة وما أشبه ذلك مما اتفقت على تسميته جميع اللغات العالمية .

وان العمل بهذه القواعد يصرفنا عن ان نسمى الوحدات القياسية باسماء عربية كما جرى العمل فى السابق فسميت الكالورى بالحريرة والحرة فى سورية وبالسعر فى مصر او ان نسمى واحدة العمل : Erg عميلا او الالكترون بالكهرب او الكهيرب والفوتون بالضوئ .. على ان لا نغالى فى ذلك فنعمد الى تسمية الـ Pendule ببندول بينما يوجد له فى العربية عدة مصطلحات مثل : الرقاص والنواس والخطار .

فلننظر الآن فى هذه الالوف المؤلفة من المصطلحات التى توالى وضعها بالعربية خلال مدة قرن كامل يمتد الى يومنا هذا . ان القسم الاعظم منها جاء مطابقا للمعنى الذى وضع له . وعلى هذه المصطلحات اعتمدت اللغة العربية الحديثة فى بيانها سواء اكان ذلك فى الاعلام او الادارة او فى النواحى الاخرى من الحياة او فى التعليم الابتدائى او الثانوى . ولكن لا تزال امامنا مرحلة كبيرة صعبة جدا هى مرحلة التعليم العالى والبحوث المتقدمة فيها بعض الضعف او الغموض . وسأضرب لذلك بعض الامثلة .

ان المصطلح الاجنبى قد جرت عادته على الاتكال على لغات عديدة غير لغته الوطنية التى وضع بها . وخاصة على اليونانية واللاتينية . فنجد المصطلح الفرنسى مثلا يعتمد على هاتين اللغتين كما يعتمد احيانا عند الاقتضاء على الانكليزية والجرمنية ولا يحجم احيانا عن الاستعانة حتى باللهجات العامة الاجنبية .

فبالاضافة الى ما فى العربية من اشتقاق صغير وكبير وابدال ، تستعين اللغات الاجنبية بزيادات فى اول الكلمة او فى آخرها ، وذلك ما نسميه بالصدر او السابقة Préfixe والكاسعة او اللاحقة Suffixe وبالحشو Infixe وشتان ما بين استعمالنا القليل لهذه الوسائل الثلاث وبين استعمال اللغات الاجنبية لها مضافا اليه الاعتماد على اليونانية واللاتينية فى ذلك فقد انفتحت لهم آفاق واسعة منظمة واضحة تضمن وضع المصطلحات للحاضر وللمستقبل . اذكروا السابقات :

Macro, Micro, Télé, Extra, Exter, Intra واللاحقات
Métrie, Graphie, Scopie, Gie, Ique, Turc,
Isme, Tien .. الخ

فروم نهتدى الى الاستفادة من الاشتقاق الى اقصى حدوده ، مستعينين بالتصدير وبالتذييل وبالحشو ، ومستعينين عند الاقتضاء باللغات الاجنبية ايضا بعد تعريبها ، نكون قد ضمنا للغة العربية نصرا كبيرا فى نطاق ترجمة المصطلحات العلمية .

احب الآن ان اسوق بعض الامثلة عن المصطلحات الغامضة التى لم تحظ ترجمتها بالتوفيق :

1 — كلمتا Empirique, Expérimental

فالاولى قد ترجمت بتجريبى وانتهى امرها بلا اشكال ، اما الثانية فدونها كل المصاعب . يسميها الفلاسفة تجربيا بدون ياء ليفرقوا بينها وبين الاولى ، وهذا الفرق واه كخيط العنكبوت يوقع فى الخطأ . واذا راجعنا المعاجم الفرنسية العربية التى بين ايدينا نجد :

ا — المنهل : تجريبى (مبنى على الملاحظة والاختبار) وفى الطب : مشعوذ .

ب — بلو : اختبارى . مؤسس على الاختبار . بطريقة الاختبار فقط . وفى الطب طب تجريبى او استقرائى .

ويقول المعجم الانكليزى العربى (المورد) : دجال ، ابن التجربة ، عديم الثقافة ، يعتمد كل الاعتماد على الخبرة العلمية . مبنى على الملاحظة والاختبار .

ويقول لاروس الكبير ان Expérimental مشتقة من اللاتينية ومعناها المعرفة المكتسبة من الممارسة الطويلة المدعومة بالمشاهدة وان Empirique مأخوذة عن اللاتينية Empiricies وان هذه مأخوذة عن اليونانية

Empirikos وهى تعنى من يعلم ان يظن انه يعلم بالتجربة . او من يسعى فى الاستفادة من التجربة ولكن بدون اهتمام كبير بالدقة العلمية .

ووردت ترجمة هذا المصطلح فى مشروع معجم الفيزياء الذى بين ايدينا : اولى ــ تجريبى (مبنى على التجربة) .

وجاء فى موسوعة Universalis ان كلمة Empirique غالبا ما تستعمل فى الفرنسية بقصد الانقاص والحط من قدر الموصوف بخلاف كلمة تجربة. فعند ما يقال رجل ذو تجربة يقصد بذلك الخبرة التى اكتسبها من تجربته . لذلك فان عبارة
Homme d'expérience
هى عبارة مديح فى حين ان Empirique هى صفة ذم .

فنرى ان المصطلحات العربية المقترحة لكلمة Empirique كلها على حد سواء فى عدم اداء المعنى المقصود وانها تسبب الخلط بينها وبين Expérimental

2 ــ كلمتا Interpolation, Extrapolation

ترجم هذان المصطلحان بأشكال عديدة اوردها فيما يلى :

المعجم العسكرى الموحد (انكليزى عربى) : استكمال . استكمال من الداخل .

المعجم العسكرى الموحد (افرنسى عربى) : استكمال واستخراج . ادراج استيفاء ؛ تحشية المنهل (افرنسى عربى) : استكمال من الخارج ؛ تقدير استقرائى ؛ تعميم المد خارجا . استكمال توليد ، تحشية .

بلو (للثانية فقط) : حشى ، ولد .

المورد (انكليزى ــ عربى) : تقدير استقرائى . التوليد والاستيفاء .

وردت فى معجم الرياضيات الذى بين ايدينا ترجمة المصطلح الاول بـ : المد خارجيا ، او الاستكمال من الخارج . واما المصطلح الثانى فترجم بـ : استكمال داخلى واستيفاء او توليد داخلى .

وفى رايى ان ترجمة هذين المصطلحين بالاستكمال الخارجى والاستكمال الداخلى هى اقرب ما تكون الى تأدية معنييهما وان كانت لا تفى بالمعنى تماما . وبالرغم من كثرة الكلمات التى اوردت فى المعاجم مقابل هذين المصطلحين فانى اعتقد انهما لم يوفيا حقيهما وان لفظة الاستكمال ليست الترجمة المثالية لهما .

ويأتى الغموض احيانا من الاقتصار فى ترجمة المصطلحات على لغة اجنبية واحدة . مثال ذلك ان الفرنسيين يسمون الفراغ الواقع بين القسم الثابت وبين القسم الدوار فى المحركات وفى المولدات الكهربائية بـ Entrefer ولدى الترجمة الحرفية لهذا المصطلح بالعربية لا نجد سوى قولنا : ما بين الحديد . وليس هذا مصطلحا ناجحا ولدى مراجعة المصطلح الانكليزى نجد انه Air Gap وهذا اسهل على الترجمة من المصطلح الفرنسى فيترجم بـ الفاصل الهوائى او الفرجة الهوائية وهو بلا ريب اكثر توفيقا من المصطلح الفرنسى .

كذلك يطلق الفرنسيون كلمة Amorçage على العملية التى تبدأ فيها المولدات الكهربائية بتوليد التيار الكهربائى وان ترجمتها الى العربية صعبة جدا . واما المصطلح الانكليزى لها فهو To bluid up فنترجمه بأن الآلة تبنى تيارها . وبذلك تزول تلك العقبة .

وكثيرا ما ينجم غموض المصطلح العربى عن غموض المصطلح الاجنبى الذى ترجم عنه او من انه لا يؤدى المعنى الذى وضع له تأدية تامة. وامثلة ذلك كثيرة ترد فى جميع العلوم . ونرى ان العلماء الاجانب يستبدلون فى هذه الاحوال بالمصطلح القديم مصطلحا جديدا انسب منه واقرب الى الواقع فينبغى ان نبادر نحن ايضا الى اطراح التعبير القديم . مثال ذلك عبارة Force vive اى القوة الحية وهى خطأ . وقد استبدلت بها الان عبارة Energie cinétique اى الطاقة الحركية وكذلك Monient cinétique اى العزم الحركى ؛ ويسمى الآن Impulsion angulaire او بالانكليزية Angular momentum اى الاندفاع الزاوى . الخ ..

وبعد ، فان حركة التعريب فى العالم العربى تسير الآن بخطى حثيثة بعد ان تسلمتها الايدى العلمية المتخصصة بها . فاهتمت بها الجامعة العربية عن طريق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بواسطة المكتب الدائم لتنسيق التعريب ؛ الذى اعد لنا مشاريع المعاجم التى بين ايدينا واشهد بأنه عمل قيم جدا . وبفضل المعاجم اللغوية والجامعات ومختلف الوزارات العلمية. ولا بد من ان تؤتى هذه الجهود المتكاتفة ثمارها الطيبة فى مستقبل قريب .

ولا يفت فى عضدنا تأخرنا فى مضمار التعريب فان حركة وضع المصطلحات قائمة على قدم وساق حتى فى الدول العريقة فى العلم . وهى حركة دائمة لا تقف ابدا ما دام العلم يتقدم ويفتح كل يوم مجالات جديدة ويضع مصطلحات جديدة . وقد غزت المصطلحات الاجنبية كل لغة تأخرت ولو قليلا فى تدارك شأنها . وها هى ذى فرنسا على علو باعها فى العلوم تشكو من غزو المصطلحات الانكليزية لها . فيقوم الاستاذ Etiemble اتيمبل الاستاذ بجامعة باريس بمهاجمة هذا الغزو فى كتابه Parlez-vous Franglais ? كما تقوم نشرة La Banque des Mots التى يصدرها المجلس الدولى للغة الفرنسية بعرض المناهج التى يمكن بها معالجة السيل المتدفق من المصطلحات الانجليزية لوضع ما يقابلها باللغة الفرنسية . فاذا كان ابناء اللغة الفرنسية يشكون فما بالنا نحن اذن ؟

المهندس وجيه السمان
عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

خصائص اللغة العربية في التعبير العلمي

الدكتور عبد الحليم منتصر

منذ اكثر من احد عشر قرنا من الزمان وفى عهد الخليفة المأمون على التحديد تقاطر المترجمون على بيت الحكومة فى بغداد ، ينقلون الذخائر العلمية التى تركها الاغريق والفرس والهنود والسريان والقبط وغيرهم الى اللغة العربية وشجع الخليفة العالم هذه الحركة العلمية العارمة فكان يولى العلماء عطفه ورعايته كما فتح لهم خزائن المال ، يغدق عليهم منها ، استحثاثا منه لهم على نقل هذا التراث الى اللغة العربية وكذلك تم نقل هذا التراث الضخم فى الطب والفلسفة والمنطق والاخلاق والسياسة والفلك والرياضيات والتشريح والنبات والحيوان وما اليها من علوم لم يكن للعرب بها عهد .

وليس من شك فى ان تلك كانت نقطة بدء رائعة للانطلاق وغدت بغداد مركز اشعاع علمى حضارى تاهت به على حوافز ذلك العصر ودانت الحضارة الانسانية لبغداد المأمون وغدا الخليفة المأمون رمزاً للملك العالم ، وجمع حوله جمهرة من العلماء بهم بلاطه وزين ملكه نقلوا له روائع ابقراط وفيثاغورس وافلاطون وارسطو وبطليموس وجالينوس وديستوريدوس واقليدس وارشميدس وغيرهم من علماء اثينا والاسكندرية .

وعرفت الامة العربية طب ابقراط وفلك بطليموس وهندسة اقليدس وقرأوا مجسطى بطليموس ، واصول اقليدس وجامع اورباسوس ، ومئات بل الوفا من كتب ارسطو وجالينوس وثاون وهيرون وغيرهم من رواد العلم فى العصرين الاغريقى والاسكندرى ووسعت العربية الجومطريا والاسطرونوميا والميتافيزيقا والاريثماطيقا والماثيماطيقا ومصطلحات التشريع والهندسة والفلك والطب والرياضيات وما اليها ، واستمرت الحركة العلمية فى النمو والازدهار وشملت الحواضر العربية كلها من بغداد الى دمشق الى القاهرة الى مراكش الى الاندلس فى الجامع المنصور والجامع الاموى والجامع الازهر وجامع القيروان وجامع قرطبة وفى بيت الحكمة ودار الحكمة ودار العلم . فكانت هذه وتلك تؤدى ما تؤديه الجامعات ومعاهد العلم فى الوقت الحاضر ، وكانت منازل العلماء وقصور الخلفاء والامراء والمساجد ودور الكتب تزدان بمجالس العلم والادب وامتدت الامبراطورية العربية والاسلامية من حدود الصين شرقا الى حدود

قرنسا غربا واكب علماء المسلمين على التاليف بلغة عربية سليمة حتى كانت اعمال العالم منهم تعد لا بالآحاد ولا بالعشرات ولكن بالمئات ، وتاه هذا العصر بعشرات ومئات من العلماء العرب يقرنون الى اعاظم العلماء فى كل عصر وآن وها هى ذى تاليفهم ومخطوطاتهم تزدان بها دور الكتب والمتاحف ، تعد بمئات الالوف مما يحتاج تحقيقه وعرضه الى جهود عصبة من اولى العزم من العلماء ليمكفون على دراستها وتحقيقها وعرضها ملخصة ومخلصة . وقد انصفنا بعض مؤرخى العلم حين قالوا ان الحضارة الانسانية مدينة للعلماء العرب فى كل فروع المعرفة وانه كان لا بد من ظهور ابن الهيثم والصوفى والبيرونى والكندى لكى يتسنى ظهور جاليلو وكيلر وكوبرنيق ، وانه لولا اعمال العلماء العرب لاضطر علماء النهضة الاوربية ان يبداوا من حيث بدا هؤلاء ولتاخر سير المدنية عدة قرون وانه لو لم يعوقنا المغول والتتار والترك والاستعمار لكانت هذه النهضة التى تفاخر بها اوربا تكون من نصيب الامة العربية وتكون لغتها هى العربية وتتقدم عليها فى التاريخ عدة قرون .

ولا شك ان القارئ لمؤلفات ابن سينا وابن الهيثم والبيرونى وجابر والخوارزمى والرازى وابن النفيس والزهراوى والصوفى وابن يونس وابن العوام وغيرهم ليتملكه الاعجاب والاكبار بأسلوبهم العلمى الاخاذ ولغتهم العربية السليمة التى كتبوا بها فى الفلك والرياضيات والضوء والهندسة والجبر والطب والكيمياء . لقد طوعوا العربية لمصطلحات هذه العلوم الطبيعية المختلفة حتى قال المنصفون ان الينبوع الاول للعلوم الطبيعية انما تفجر فى العصر العربى الاسلامى الذى ازدان بأمثال من ذكرنا .

ولكن الايام دول كما يقولون فضعف امر الامة العربية بعد ان قدمت لاوروبا زاد نهضتها العلمية عن طريق الاندلس التى سطعت فيها الحضارة العربية الاسلامية عدة قرون وعن طريق صقلية التى دانت لحكم العرب بضعة قرون ، وعن طريق الحروب الصليبية ثم عن طريق الامبراطورية العثمانية فى شرق اوروبا وظلت كتب من ذكرنا من العلماء العرب هى المراجع المعتمدة فى جامعات اوروبا طوال قرون وانشئت الجامعات الاوروبية على غرار جامعة الازهر العتيدة وترجمت الكتب العربية الى اللغة اللاتينية واللغات الاجنبية الاخرى وسطعت شمس الحضارة العلمية على اوروبا فى حين انحسرت عن الامة العربية .

* *

وفى اوائل القرن الماضى بدات الاتصالات بين بعض الدول الاوربية وبعض البلدان العربية كان هدفها الاول حربيا استعماريا ، لم يكتب لها فيها نصر ولم تتحقق اغراضها منه ولكنما تحققت اتصالات علمية كان من نتاجها نقل العلوم الحديثة الى البلدان العربية وانشاء بعض المدارس الحديثة وارسال البعثات العلمية الى اوربا ، وعاد هؤلاء المبعوثون ليقودوا نهضة علمية حديثة . ومنذ اوائل القرن الثامن عشر انشئت فى مصر مدارس الطب والهندسة والمعلمين وغيرها من مدارس العالم وشارك علماء من اساتذة هذه المدارس من الاجانب والمصريين فى ترجمة امهات الكتب العلمية الى اللغة العربية ان فى الطب او الهندسة او الزراعة او الصيدلة او الكيمياء وما اليها من علوم وفنون . وكان الحكام يلومون طلاب البعثات بنقل هذه العلوم الى اللغة العربية وان تكن اللغة العربية لغة التدريس وهذه المعاهد .

وفى اخريات القرن الماضى عاد الاحتلال ينشر ظله الثقيل مرة اخرى ، وشيئا فشيئا جعل لغة التدريس هى الاجنبية ، ولم يكتف بان يكون ذلك فى المعاهد العليا وحدها ولكن عم ذلك فى المدارس الابتدائية والثانوية فاستقر فى اذهان الكثيرين ان هذه العلوم مستوردة هى الاخرى من الخارج وانه لم يكن لنا بها عهد ، وتناسى الكثيرون انها بضاعتنا ترد الينا وان العلماء العرب هم واضعو اسس هذه العلوم وهم مبتكرو كثير من اجهزتها وادواتها بل ومصطلحاتها ايضا .

* *

ومنذ اوائل القرن العشرين عادت للغة العربية مكانتها فى التدريس فى المدارس الابتدائية والثانوية ، كما انشئت فى مصر الجامعة الاهلية وكانت مقصورة على كلية الآداب كما انشئت معاهد عليا كثيرة وفى اواسط عشرينيات هذا القرن ، انشئت الجامعة المصرية الاميرية وكانت تتكون آنئذ من اربع كليات هى الآداب والحقوق والطب والعلوم وكانت العلوم هى وحدها التى انشئت انشاء فى ذلك التاريخ لم تكون متحولة عن معهد او مدرسة اخرى ، وضمت اليها